الفصل الأول

الحياة السياسية، والاجتماعية، والثقافية في السودان

المبحث الأول: الحياة السياسية من عام ١٨٩٨ –١٩٥٦م.

المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية من عام ١٨٩٨ – ١٩٥٦م.

المبحث الثالث: الحياة الثقافية من عام ١٨٩٨ – ١٩٥٦م.

المبحث الأول

الحياة السياسية من عام ١٨٩٨ –١٩٥٦م.

خسِرَ السودان كثيراً من الأرواح والأموال فى حروبه مع دولة المهدية ضد الحكم التركي المصري. فانتشرت الأمراض، والمجاعة، والفقر. أكد ذلك الأستاذ نعوم شقير قائلاً: ((قد قدِّر عدد سكان السودان قبل الثورة المهدية في سنة ١٨٨١م. بنحو عشرة ملايين نسمة. وأما الآن فلا يزيدون عن أربعة ملايين نسمة لما قاسوه من الحرب والمجاعات والأمراض والمظالم في أثناء الثورة المهدية)).[١]

إن قيام المهدية في السودان، والانتصارات المتوالية التي حققها الجيش السوداني (الأنصار) على الحكم التركي المصري، لم تُعجب الإنجليز في مصر، وظلّت بريطانيا تفكر بالطريقة التي تحكم بها السودان؛ لأن هذا الجيش يهدد مصالحها في القارة الأفريقية. يقول الأستاذ محمد أحمد محجوب: ((إن ما أقلق بريطانيا هو أن تحالفاً بين الإمبراطور (منليك)[٢]والخليفة عبد الله قد يكون خطراً كبيراً على النيل وبالتالي على مركز البريطاني في مصر وعلى طريق قناة السويس إلى الهند، خشيت لندن أن يؤدي انتصار الخليفة على الايطاليين المطوقين فى كسلا إلى تجديد حماسة الجيش السوداني للتوسع وقد نما وأصبح قوة مرعبة)).[٣]

تدخل الإنجليز لغزو السودان بحجة إرجاع الحكم المصري على السودان، وإعادة الهيبة للإمبراطورية العثمانية التي انهزمتْ أمام جيوش الأنصار، والانتقام لمقتل اللورد غردون. أما الهدف الحقيقي في ذلك فلم يصرح به الإنجليز في أول الأمر.[٤]

---

[١] جغرافية وتاريخ السودان، نعوم شقير، دار عزة للنشر، الخرطوم، ط٣، سنة ٢٠٠٧م، ج١، ص٧٥ .

[٢] منليك : إمبراطور الحبشة وقد هزم الايطاليين هزيمة نكراء في معركة (عدوة) في الأول من آذار مارس ١٨٩٦م ، انظر الديمقراطية في الميزان،تمحمد أحمد محجوب، منشورات الخرطوم عاصمة الثقافة العربية، مطبعة العملة، ط١ سنة، ٢٠٠٥م، ص٢٩.

[٣] المرجع نفسه، ص ٣٠.

[٤] انظر الشعر السوداني على منصة التاريخ، دراسة أدبية تاريخية للفترة من عام ١٨٨١م – ١٩٢٤م ،مصطفى عوض الله بشاره، ط١، ص١٧٥،ص١٧٧.

إن جيش الأنصار لا يمكن أن يقارن بجيش الإنجليز بأى حال من الأحوال، فسلاح الأنصار تقليدي يعتمد على السيوف والحراب وبعض البنادق القديمة، أما جيش الإنجليز فكان يفوق الأنصار عدة وعدداً. يقول الأستاذ محمد أحمد محجوب: ((وصل جيش كتشنر المؤلف من نحو ٨٢٠٠ جندي بريطاني، و١٧٦٠٠ جندي نظامي مصري وسوداني، وعشرة قوارب مسلحة ومدفعية إلى أم درمان في ٢ أيلول سبتمبر عام ١٨٩٨م)).[١]

قاتل الأنصار في أم درمان ببسالة وشجاعة، فقُتل بعضهم خارج المدينة والآخر بداخلها. إن ما تميّز به الأنصار هو الشجاعة وعدم المبالاة بالموت، إلا أن الشجاعة وحدها غير كافية لدحر الإنجليز. فآثروا الموت فى ساحات الوغى من الهرب، ونالوا بذلك وسام الشرف في الدفاع عن بلادهم ضد الغزاة الطامعين.[٢] يقول الأستاذ ضرار صالح ضرار: ((سقط السودان مثخن الجراح ،فاقد القوة ضعيف القدرة أمام سطوة الأسلحة البريطانية الفتاكة فى كرري وفي النخيلة، وفي أم دبيكرات. وكانت تلك المعارك الثلاث قد لحقت الدمار بالقدرة السودانية التي استكانت بعدها لسلطان القوة والجبروت)).[٣]أما الخليفة عبد الله التعايشي فقد استطاع أن يضلل الإنجليز أكثر من سنة. يقول المستشرق روبن نيلاند: ((ظلَّ الخليفة عبد الله طليقاً لأكثر من عام بعد هزيمته في أم درمان)).[٤]

وفي عام ١٨٩٩م. حُصِرَ الخليفة من قبل الإنجليز وتم قتله ومن معه. يقول روبن نيللاند: ((وفي الرابع والعشرين من نوفمبر ١٨٩٩م. عثرتْ تلك القوات على الخليفة وحوالي خمسة ألاف من الأنصار بالقرب من كوستي. أرسل ونجت قواته عند الفجر لمهاجمة الخليفة في معسكره، ما أن اقترب الهجوم حتى نهض الأنصار الأبطال

---

[١] الديمقراطية في الميزان، محمد أحمد محجوب، ص٣٠.
[٢] انظر المرجع نفسه ، ص٣١.
[٣] تاريخ السودان الحديث، ضرار صالح ضرار، ص٢٣٤.
[٤] حروب المهدية، روبن نيللاند، ترجمة ، د. عبد القادر عبد الرحمن، ط١، سنة ٢٠٠٢م، ص٢٥٩.

لمواجهته فمزقتهم المدافع الرشاشة والنيران الكثيفة، وعند تغلب الجنود السودانيين على الأنصار ودخلوا معسكرهم وجدوا جثة الخليفة وأمراءه الأساسيين وقد مزقهم الرصاص وهم جلوس على سجادة الصلاة ووجوههم نحو القبلة)).[١]

دخل السودان بعد سقوط الحكم الوطني الذى استمر ثلاث عشرة سنة مرحلة جديدة فى تاريخ السودان دامت تحت قبضة الاستعمار الإنجليزي ستين عاماً تقريباً.[٢] قام خلالها الإنجليز بطمس معالم المهدية والسعي لتحويل السودان إلى إنجلو– سودان. يقول الأستاذ مصطفى عوض الله بشارة: ((أول عمل قامت به جيوش الغزاة بعد إحتلال السودان هو تحطيم قبة الإمام المهدي في أم درمان وفي اليوم التالي أبحر كتشنر مع قوة كبيرة إلى الخرطوم حيث أدى صلاةً مع جنوده المسيحيين أمام القصر الذي شهد مصرع غردون في ٢٠ يناير ١٨٨٥م)).[٣]

سيطر الإنجليز على السودان ١٨٩٩م. وقد وقّعتْ بريطانيا اتفاقية في السنة ذاتها مع مصر. مثّل الجانب البريطاني اللورد كرومر، ومن مصر وزير خارجيتها بطرس غالي.[٤]والتي أعطت الإنجليز الحكم المطلق على السودان. بينما خسِرتْ مصر كلَّ شيء، ظهرت إحتجاجات في شوارع مصر على هذه الاتفاقية، إذ مُنِحتْ المادة الثالثة من الاتفاقية صلاحيات مطلقة للقائد العام في السودان، دون الرجوع إلى الدولتين المصرية أو البريطانية. وإن القائد العام يتم اختياره من قبل الحكومة الإنجليزية ويأييده الجانب العالي الخديوي في مصر.[٥] يقول الأستاذ محمد أحمد المحجوب: ((أصبح السودان في يد بريطانيا ومُنح كتشنر لقب لورد الخرطوم وسط هتاف الشعب البريطاني ووقّع اتفاق على الحكم الثنائي الإنجلو– مصري. ذلك الاتفاق

---

[١] حروب المهدية، روبن نيللاند، ص ٢٥٩.
[٢] انظر الديمقراطية في الميزان ، محمد أحمد محجوب ، ص ٢٨.
[٣] الشعر السوداني على منصة التاريخ، مصطفى عوض الله بشارة، ص١٧٣.
[٤] المرجع نفسه، ص١٨٤.
[٥] انظر تاريخ السودان الحديث، ضرار صالح ضرار، الدار السودانية للنشر، ط١، سنة ١٩٧٥م، ص ٢١٥، ٢١٦.

الغريب الشيطاني الذي ابتكره اللورد كرومر. وحكم البريطانيون بموجبه السودان بالاشتراك مع مصر نظرياً فقط. فقد بقيت مصر عشرات السنين الشريك النائم وأُعلن كتشنر حاكماً عاماً على السودان)).[١]

إن الهدف الرئيس الذي أضمرته بريطانيا من غزوها السودان، بدأ يتضح جلياً سافراً من خلال خُطب اللورد كتشنر التي يُلقيها في أم درمان أو الخرطوم. وجاء في أحد خُطبة: ((إنّ الإنجليز وليستْ مصر هي التي غزت السودان...وإن كانت مصر قد تحملت مالياً الجزء الأكبر من التكاليف، وأن الجنود المصريين بقيادة الضباط الإنجليز قد شاركوا في الحملة...ولكن خلال فترة التحضير لتنفيذ تلك السياسة فإن اليد الموجهة كانت بريطانيا...ولا يصح الزعم أنه بدون مساعدة بريطانيا بالرجال والمال والتوجيه...ومن هذا المنطلق فإن ضمّ بريطانيا للأراضي التي تم غزوها له ما يبرره)).[٢]

يمتلك الجيش الإنجليزي قوة عسكرية كبيرة وحديثة، وترسانة حربية عظيمة مكنته من السيطرة على العالم، وكذلك هزم المهدية وبسط نفوذه على السودان. لكنّه وقف عاجزاً أمام الروح الوطنية التي زرعها المهدي في نفوس المواطنين، إذ لم تقفْ دوامة الثورات والانتفاضات والمواجهات مع المستعمر الدخيل، وأنْ كانت غير منظمة ومتفرقة تظهر من حين إلى آخر. ففي عام ١٨٩٩م. قام الخليفة محمد شريف وأبناء المهدي في منطقة الجزيرة الاتصال ببعض القبائل المجاورة والمؤمنة بالمهدية في لمِّ الصفوف ومواجهة المستعمر. فعلِمت الحكومة بأمرهم فأرسلت قوة فاعتقلتهم، ثم أُعدموا

---

[١] الديمقراطية في الميزان، محمد أحمد محجوب، ص٣١.
[٢] الشعر السوداني على منصة التاريخ، مصطفى عوض الله بشارة، ص ١٧٧.

بالرصاص كل من محمد شريف وأبناء المهدي الفاضل والبشري ومعهم مجموعة من أهل القرية.[١]

لم تتوقف حركات مقاومة للإنجليز. يقول الأستاذ مصطفى عوض الله بشاره: ((وفي عام ١٩٠٢م. ظهر في جنوب دارفور الفكي محمد مدعياً أنه المهدي فأعتقل وأُعدم)).[٢]وفي جنوب كردفان برز محمد الأمين مدعياً أنه نبي الله عيسى فذهبت إليه الحكومة فاعتقلته وأحرقت القرية وخرجت به إلى الأبيض فعمت الفوضى والشغب في القرية فأُعدم وسط مجموعة من الناس.[٣]

وفي عام ١٩٠٤م ظهر في سنار الدنقلاوي محمد ود آدم و دعا للجهاد واصطدم مع الغزاة وقتل منهم ثم قبض عليه وأُعدم ايضاً.[٤]كما ظهرت دعوة سليمان ود البشير في سنة ١٩٠٦م. في ود مدني ودعا للجهاد ضد الغزاة ولكنه سرعان ما ألقي القبض عليه.[٥]

إن سياسة بريطانية في السودان اعتمدت على القوة والبطش والظلم في وجه كل من يقف أمام مخططها في بسط نفوذها على السودان، لذلك انفجر عبد القادر محمد أحمد المعروف بود حبوبة – الذي شارك في معارك المهدية ضد الغزاة – لِما لحقه من ظلم الحكومة الإنجليزية، إذ صادرت أراضيه في مشروع الجزيرة بثمن زهيد جداً، فأشتبك مع المستعمرين وقتل منهم مفتشاً إنجليزياً وجنوداً حتى أُلقي القبض عليه وأعدم أيضاً.[٦]

---

[١] انظر تاريخ السودان الحديث، ضرار صالح ضرار، ص ٢٣٤، ٢٣٥.
[٢] الشعر السوداني على منصة التاريخ، مصطفى عوض الله بشارة، ص ٢١٦ -٢١٧
[٣] انظر المرجع نفسه، ص٢١٨.
[٤] انظر المرجع نفسه، ص ٢١٨ .
[٥] المرجع نفسه، ص٢١٨.
[٦] انظر تاريخ السودان الحديث، ضرار صالح ضرار، ص ٢٣٦.

ومن أهم الحركات التي واجهت الحكومة الإنجليزية التمرد الذي قاده السلطان علي دينار في دارفور، حيث أجبر الإنجليز على عقد اتفاقية بينهما. خلاصتها أن يرفع علي دينار العلمين المصري والإنجليزي في دارفور، وإن يدفع جباية للحكومة الإنجليزية مقابل أن لا تتدخل الحكومة الإنجليزية في شؤونه الداخلية. وعند اندلاع الحرب العالمية الأولى أبدتْ الحكومة مخاوفها من السلطان علي دينار؛ لولائه للعثمانيين كما هو بادلهم الرأي نفسه. إذ أعلن مراراً وتكراراً أنه لا يرغب بوجود الإنجليز المستعمرين في بلده.[١]من خطاباته التي وجهها إلى الحاكم العام في السودان. حيث يقول: ((إنك فعلت كل شيء للانتقاص من شأن الإسلام)).[٢]

فعَزمتْ الحكومة على الدخول إلى دارفور. يقول مصطفى عوض الله عن ذلك: ((وفي ٢٣ مايو عام ١٩١٦م. تم احتلال الفاشر والتجأ علي دينار إلى جبل مرة وبقي هناك مطارداً حتى تمكنت جيوش الحكومة من القضاء عليه في معركة غير متكافئة في نوفمبر عام ١٩١٦م)).[٣]

أذعنَ السودانيون صاغرين أمام قوة وجبروت الاستعمار إذ لم يتهاون الإنجليز باستخدام القوة مع كلِّ من يقف معارضاً أمام مخططهم، وبالمقابل أدرك السودانيون أن الثورات والانتفاضات المتفرقة لا تجدي نفعاً. فدعوا إلى تثقيف الشعب وتعليمهم وتوحيد أفكارهم لطرد الاستعمار، وأيقنوا أن الخلاص من المستعمر لا يتم إلّا عن طريق التسلح الفكري. فخرج جيل جديد أكثرهم من خريجي كلية غردون. دعوا إلى تشكيل جمعيات وأندية أدبية في أم درمان والمناطق الأخرى من السودان. وسرعان ما

---

[١] انظر الشعر السوداني على منصة التاريخ، مصطفى عوض الله بشاره ، ص،٢١٩، ٢٢٠.
[٢] المرجع نفسه، ص٢٢٠.
[٣] المرجع نفسه، ص٢٢٠.

تحولت هذه الجمعيات والأندية الأدبية إلى حراك سياسي يطالب برغبات الأمة وما يعانيه الشعب السوداني.[١]

كما ساهمت الصحافة مساهمة ذات أثر واضح في الجيل الواعي المثقف. فأقبلوا على الكتابة والنشر في الصحف وقراءة ما يكتب، واتصلوا بالعالم العربي والعالمي، بالإضافة إلى الجرائد التي كانت تأتي من مصر.

وقفت حكومة السودان عارضاً أمام طموحات المثقفين في الاستقلال إذ قيدت حرية الفكر لديهم فلا يستطيع الكاتب أن ينشر مقالاً واحداً، إن لم يُقرأ قبل النشر، وقد يحذف جزء منه أو يرفض من الأصل، كما حدث مع القائد علي عبد اللطيف.[٢]

وعن الظلم الذي لحق بالمثقفين. يقول الأستاذ حسن نجيلة متحدثاً عن نهاية جريدة الرائد: ((لقد جاءت نهاية محررها الأستاذ مصطفى قليلاني قبل نهايتها بقليل، ولعلك تعجب إذا عرفت أنه أول صحفي تعتقله حكومة السودان بسبب مقال له لم ترضَ عنه)).[٣] ومن ممارسات حكومة السودان للضغط على المثقفين قامت بتمليك جريدة حضارة السودان إلى الزعماء الثلاث: عبد الرحمن المهدي، وعلي الميرغني، ويوسف الهندي؛ ليكونوا الواجهة التي تقف بوجه المثقفين. يقول الأستاذ مصطفى عوض الله بشارة: ((لقد أضحت جريدة حضارة السودان أداة في يد كل من حكومة السودان وأصحابها الثلاثة)).[٤]

ظلَّ المثقفون يواصلون نشاطهم في الأندية والجمعيات الأدبية مستغلين أعياد الفطر والأضحى ورأس السنة الهجرية لإلقاء الخطب، والأشعار والمحاضرات ضد

---

[١] انظر الديمقراطية في الميزان، محمد أحمد محجوب ، ص٣٢.
[٢] انظر الشعر السوداني على منصة التاريخ، مصطفى عوض الله بشاره،ص٢٣٠.
[٣] ملامح من المجتمع السوداني ، حسن نجيلة، دار عزة للنشر،الخرطوم، سنة الطبع ٢٠٠٥م، ج١، ص٢١، ٢٢
[٤] الشعر السوداني على منصة التاريخ، مصطفى عوض الله بشاره ، ص٢٧١.

الحكومة، والزعامات، ومن وقف مع الإنجليز. ومن القصائد التي أزعجت الزعامات قصيدة الشاعر عبد الله عمر البنا. كان يحيي فيها شهر محرم متحسراً على تلك الأيام وهارباً من الوضع المُزري الذي هم فيه يقول فيها:[١] البسيط

تحية العام الهجري١٣٣٩هـ

ياذا الهلال عن الدنيا أو الدين حدث فإن حديثاً منك يشفينـــي

حدث عن الأعصر الأولى لتضحكني فإن أخبار هذا العصر تبكينـي

وهيكلٍ تبعتهُ الناسُ عن سـرفٍ كالسامري بلا عـقلٍ و لا ديـــنٍ. [٢]

يقول الأستاذ مصطفى عوض الله بشارة عن ردة فعل الزعماء: ((لم يطقْ الشريف يوسف الهندي صبراً على هذه القصيدة الوطنية الثائرة فشكا شاعرها الكبير عبد الله البنا إلى الحكومة، مطالباً بمحاكمته على الأبيات التي ضمنتها قصيدته باعتبارها تعريضاً وسخرية وقذفاً موجهاً لشخصه ولشخصيات أخرى)).[٣]

عارض المثقفون الاستعمار وكل من وقف بجانبه وقد سعوا لتشكيل تنظيم سياسي. يقول الأستاذ مصطفى عوض الله بشارة: ((أول تنظيم سياسي سرى لجمع الصف ومقاومة الحكم الاستعماري وقد تأسس ذلك التنظيم السياسي بأسم جمعية الاتحاد السوداني عام ١٩٢٠م. بأم درمان)).[٤]

قام المثقفون بشن الهجوم على الاستعمار والزعامات عن طريق الخطب والأشعار والمقالات التي كانوا يرسلونها لجريدة الحضارة، لكن هذا التنظيم لم يدم طويلاً حتى انبثق منه تنظيم جديد بأسم جمعية اللواء الأبيض؛ لأن الخطابات والشعارات غير

---

[١] الشعر السوداني على منصة التاريخ، مصطفى عوض الله بشاره، ص٢٦٢.
[٢] ديوان عبدالله محمدعمر البنا، تحقيق علي المك، نشر دار جامعة الخرطوم، ط٢، سنة ١٩٧٦م، ج١، ص ٦٤.
[٣] الشعر السوداني على منصة التاريخ، مصطفى عوض الله بشاره، ص٢٦٦.
[٤] المرجع نفسه، ص٢٢٧.

كافية لطرد المستعمر. يقول الأستاذ مصطفى عوض الله بشارة: ((استمرت جمعية الاتحاد في مواصلة نشاطها حتى عام ١٩٢٣م. ولكن عبيد حاج الأمين أو بعض الأعضاء المجاهدين الثوار لم يقبلوا الاستمرار في المقاومة ضد الاستعمار بأسلوب إرسال الخطابات والمنشورات لشن الهجوم بالأقوال فقط. لهذا ترك عبيد حاج الأمين جمعية الاتحاد لينضم إلى علي عبد اللطيف لتكوين جمعية اللواء الأبيض)).[١]

ازداد الحراك السياسي لدى المثقفين، وارتفع الحماس الوطني في نفوسهم، وبالمقابل دبَّ الخوف عند الزعماء من الجيل الجديد المثقف بأن يسحبوا البساط من تحت أقدامِهم. يقول الأستاذ مصطفى عوض الله: ((في ١٠ يونيو ١٩٢٤م. عقد السيد عبد الرحمن المهدي اجتماعاً بمنزله بأم درمان حضره أربعون من كبار الشخصيات وأرسلوا رسالة ولاء ثانية للحكومة بتاريخ ١٠- ٦- ١٩٢٤م. باعتبارهم الشخصيات البارزة للحركة الوطنية السودانية وكان قرارهم هو اختيار إنكلترا لكي تكون وصية على السودان...وكان مطلبهم الوحيد للإصلاح في رسالة الولاء هو إنشاء مجلس من السودانيين ليقدّم النصح للحاكم العام)).[٢]

أدرك الزعماء بالخطر الذي يهددهم من قبل المثقفين خصوصاً عندما أقبل علي عبد اللطيف لمطالبة الحكومة بحقوق المواطنين المسلوبة، عبر مقال قدمه لجريدة الحضارة، لكنه لم ينشر. يقول الأستاذ ضرار صالح: ((آمن علي عبداللطيف[*]بحقوق أمته، فما كان الإ أن حاول نشر بيانه على الناس في مايو ١٩٢٢م. واسماه مطالب الأمة السودانية، وأشار فيه بضرورة زيادة المدارس ووجه انتقاده لمشروع

---

(١) الشعر السوداني على منصة التاريخ، مصطفى عوض الله بشارة، ص٢٢٧.

(٢) المرجع نفسه، ص٢٣٣.

(*)علي عبد اللطيف: وهو ضابط سوداني من أبويين جنوبيين ينتميان إلى قبيلة الدينكا قاده ذكائه إلى الشعور بمسؤولية نشر الوعي القومي في أبناء بلده دون تمييز بين شماله وجنوبه ، انظر تاريخ السودان الحديث، ضرار صالح ضرار، ص٢٤٠.

الجزيرة، وطالب بنزع الاحتكار الحكومي للسكر...ألقوا القبض على الضابط علي عبد اللطيف وحكموا عليه بالسجن حيث بقي فيه عاماً)).[١]

وبعد خروج علي عبد اللطيف من السجن شكل جمعية اللواء الأبيض وكان عملها سراً في أول الأمر. وانضمّ إلى هذه الجمعية عدد كبير من المواطنين السودانيين وخصوصاً من المثقفين، والخريجين، والموظفين. كما انتشرت مبادئ و أفكار جمعية اللواء الأبيض في المدن الكبرى من السودان حتى وصلت إلى الجنوب عن طريق المثقفين والتجّار.[٢]كان هدفها الرئيس هو الاستقلال الكامل للسودان، أما شعارها فهو وحدة وادي النيل مصر والسودان.[٣]يقول الأستاذ مصطفى عوض الله عن تأسيس الجمعية: ((في أبريل ١٩٢٣م. أسس المجاهد علي عبد اللطيف جمعية اللواء الأبيض...وتولى (علي عبد اللطيف) رئاسة جمعية اللواء الأبيض...ومن أهم أعضائها عبيد حاج الأمين، وصالح عبد القادر، وحسن صالح)). [٤]

دعت جمعية اللواء الأبيض لمظاهرات في العاصمة والمدن الأخرى بعد وفاة عبد الخالق حسن مأمور أم درمان في يوم ١٩ يونيو ١٩٢٤م. هتف المشيعون بسقوط الإنجليز وتعظيم المصريين؛ لأن عبد الخالق حسن أصله مصري.[٥]أستغلت جمعية اللواء الأبيض هذا الموفق لتنظيم صفوفها وقيادة هذه الثورة. يقول الأستاذ حسن نجيلة: ((شهدت العاصمة المثلثة سلسلة من المظاهرات الوطنية بعضها ينظمة اللواء الأبيض وبعضها تخلقه ظروف جماهيرية في مناسبة ما).[٦]

---

[١] تاريخ السودان الحديث، ضرار صالح ضرار، ص ٢٤٠.
[٢] انظر الشعر السوداني على منصة التاريخ ، مصطفى عوض الله بشارة ، ص٢٣٠،ص ٢٤١، ٢٤٢.
[٣] انظر المرجع نفسه، ص٢٤٠.
[٤] المرجع نفسه، ص٢٢٩.
[٥] انظر ملامح من المجتمع السوداني، حسن نجيلة،ج١،ص١٩٦، ١٩٧.
[٦] المرجع نفسه،ج١، ص١٩٧.

لم تكُ المظاهرات قاصرة على الخرطوم فقط، بل وصل لهيبها إلى مناطق أخرى من السودان. يقول الأستاذ ضرار صالح ضرار: ((نظمت الجمعية عدداً كبيراً من المظاهرات السلمية التي جابت شوارع العاصمة والمدن الكبيرة في سائر أنحاء السودان. وأسرع الإنجليز بإلقاء القبض على زعماء الحركة وكان في طليعتهم في العاصمة علي عبد اللطيف وعبيد حاج الأمين[*]وفي بورتسودان سجن علي ملاسي، وأخمدت الحركة في يوليو ١٩٢٤م. بوضع أكثر أعضاء الجمعية في السجون)).[١]

ومن أبرز المظاهرات وأروعها تلك التي ظهر بها طلاب المدرسة الحربية بعد محاكمة أعضاء الجمعية. يقول الأستاذ حسن نجيلة مصوراً المشهد الذي قام به الثوار قائلاً: ((كان أروع مظاهرة شهدتها العاصمة تلك التي خرج فيها طلبة المدرسة الحربية في الخرطوم بملابسهم الرسمية يحملون السلاح مزودين بالذخيرة وذلك في صبيحة يوم السبت ٩-٨-١٩٢٤م. حيث طافوا بأهم شوارع العاصمة، وكان الشعب يحييهم والنساء يزغردن وقد قصدوا منزل علي عبد اللطيف الذي كان معتقلاً...فأدوا لدار البطل السجين التحية العسكرية وخرجتْ لهم زوجته بالزغاريد)).[٢] قامت الحكومة بإعادة محاكمة الثوار فبعد أن حكمت عليهم بالسجن لمدة ثلاث سنوات، فأزاء المظاهرات التي قام بها طلاب المدرسة الحربية، حكم عليهم بالسجن لمدة عشر سنوات.[٣]كشفت ثورة ١٩٢٤م عن أمور مهمة: أولها استجابة الروح الوطنية في المدن الكبرى من السودان وخرجت مؤيدة للثوار في الخرطوم، وكذلك اتضح موقف مصر السلبي وتنصلهم عن مساعدة الثوار، هذا ما خيّب آمال الثوار والمثقفين.[٤]وفي تقرير

---

[*] توفي عبيد حاج الأمين في السجن عام ١٩٣٢م. انظر تاريخ السودان الحديث، ضرار صالح ضرار، ص٢٤١.
[١] المرجع نفسه، ص٢٤١.
[٢] ملامح من المجتمع السوداني، حسن نجيلة، ج١، ص١٩٧.
[٣] انظر تاريخ السودان الحديث، ضرار صالح ضرار، ص٢٤٢.
[٤] انظر الشعر السوداني على منصة التاريخ، مصطفى عوض الله بشارة، ص٢٤٩.

أعده مكتب المخبارات للحكومة عن الموظفين الذين اشتركوا في المظاهرات يقول الأستاذ مصطفى عوض الله: ((اشتمل على اسماء (٦٠) من الضباط السودانيين باعتبارهم أعضاء عاملين نشيطين في جمعية اللواء الأبيض)).[١]

إن فشل ثورة ١٩٢٤م. لم يثنِ عزيمة الخريجين والمثقفين في استقلال بلادهم. فمن خلال الجمعيات الأدبية والأندية المنتشرة في جميع المدن الكبرى من السودان. دعا المثقفون إلى مؤتمر للخريجين في العاصمة والمدن الكبرى ليعبر عن مطالبهم وقضاياهم. يقول الأستاذ ضرار صالح ضرار: ((تم في سنة ١٩٣٧م. تكوين اللجنة التنفيذية للمؤتمر وكتب سكرتيرها إسماعيل الأزهري خطاباً إلى الحكومة في ٢ مايو ينبئها فيه بأنهم قد أقاموا المؤتمر بغرض رفع مستوى الشعب الاجتماعي، وخدمة مصالح البلاد عامة والخريجين خاصة، والتعاون مع الحكومة في مناقشة المسائل التي تهم البلاد)).[٢]

ردّت الحكومة رداً غير مرغوب به بالنسبة للمثقفين ولم يلبِّ رغباتهم، إذ جاء في بيان الحكومة الذي أرسلته بيد سكرتيرها الإداري قائلة: ((إنّ الحكومة أخذت علماً بقيامه ولكنها تعتبره لا ينطق بلسان أحد غير فئة الخريجين وأعضاء المؤتمر)).[٣]

انضمَّ المثقفون والخريجون لهذا المؤتمر الذي كان من شروطه أن يكون العضو فيه حاصل على أدناه شهادة الابتدائية أو ما يعادلها.[٤] وفتحت له فروع فيالمدن الكبيرة، أما الحكومة فكانت تراقب تحركات الأعضاء عن كثب وتعلم بما يدور حولها في العاصمة والمدن الأخرى. يقول الأستاذ حسن نجيلة: ((لقد نقلتُ إلى شندي عندما برز مؤتمر الخريجين إلى حيز الوجود كان لابد من أن نتجاوب مع العاملين به، فكونّا

---

[١] الشعر السوداني على منصة التاريخ، مصطفى عوض الله بشارة، ص٢٢٩.
[٢] تاريخ السودان الحديث، ضرار صالح ضرار، ص٢٤٧.
[٣] المرجع نفسه، ص٢٤٧.
[٤] انظر الديمقراطية في الميزان، محمد أحمد محجوب، ص٣٩.

لجنة فرعية باسم المؤتمر وشرفني أولئك الرفاق باختياري سكرتيراً لهذه اللجنة، وسكرتيراً للنادي. وكانت لجان الأندية والمؤتمر المظهر الاجتماعي والوطني الذي يضم العاملين لخدمة البلاد...وكان مفتشو المراكز وكلهم كانوا من الإنجليز آنذاك...يرقبون هذا النشاط الجديد لمؤتمر الخريجين يعملون له ألف حساب ويهتمون بأمر القائمين به أو يتتبعونهم في دقة وحرص)).[١]كما عملتْ على منع الموظفين الانتماء لهذا المؤتمر.[٢]

توقف المؤتمر عن العمل عند إندلاع الحرب العالمية الثانية وانشغل السودانيون في الدفاع عن حدودهم من جهة الغرب مع الاستعمار الايطالي.[٣]

أنتجت الحرب العالمية الثانية تطوراً جديداً في العالم بشكل عام وفي أفريقيا بشكل خاص، ومن أهم هذه الأحداث. يقول الأستاذ ضرار صالح ضرار: ((اجتمع تشرشل رئيس وزراء بريطانيا وروزلفت رئيس الولايات المتحدة في أغسطس ١٩٤١م. لعقد معاهدة الأطلنطي، وكان أهم ما جاء فيها حق تقرير المصير بعد نهاية الحرب العالمية)).[٤]

انتهز المؤتمر فرصة عقد معاهدة الأطلنطي و دخل بحزم في السياسة، وقدّم رسالة إلى الحاكم العام في السودان تتضمن مطالب السودانيين في٢ نيسان (أبريل) ١٩٤٢م. وأهم المطالب يقول الأستاذ المحجوب:

١. تشكيل هيئة تمثيلية من السودانيين لتقر الموازنة والقوانين، ومجلس تربوي أعلى يكون السودانيين فيه الأكثرية.

٢. تعيين السودانيين في مراكز المسؤولية السياسية في كل فروع الحكومة الرئيسية.

---

[١] ذكرياتي في البداية، حسن نجيلة، نشر مطبعة أكاديمية العلوم الطبية، ط٥، سنة ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢م، ص٣٩.
[٢] انظر الديمقراطية في الميزان، محمد أحمد محجوب، ص٤٠.
[٣] انظر المرجع نفسه، ص٤٠.
[٤] تاريخ السودان الحديث، ضرار صالح ضرار، ص٢٥٠.

٣. فصل السلطة القضائية عن السلطة التنفيذية.[١]

رُدَّت هذه المطالب من قبل الحكومة إلى المؤتمر بالرفض عن طريق سكرتيرها الإداري سير دوجلاس نيوبلد. حيث يقول الأستاذ المحجوب: ((وكتب (نيوبلد) إلى رئيس المؤتمر يقول أن المؤتمر بادعائه يمثّل كلّ السودان، ومحاولته تحويل نفسه إلى هيئة سياسية قومية لايمكن أن يحتفظ بتعاون الحكومة)).[٢]

ثم يقول المحجوب إن دوجلاس أخبر رئيس المؤتمر قائلاً: ((إنّ الحكومة تصر على أنه على المؤتمر أن يحصر نفسه في شؤون السودان الداخلية والمحلية)).[٣]

شعر أعضاء المؤتمر بخيبة أمل اتجاه الحكومة و فَقَدَ الخريجون والمثقفون الثقة بالإنجليز، و راحوا ينشدون شعر شوقي[٤]: الكامل

اليوم أخلفتِ الوعودُ حكومة كنّا نظنّ عهودها الإنجيلا.[٥]

عاد السيد دوجلاس بعد أن رفض مطالب المؤتمر رسميا لِيعد رؤساء المؤتمر شفاهاً بأن الحكومة ستنتظر ببعض المطالب التي قدمها المؤتمر. يقول الأستاذ محمد أحمد المحجوب:((أظهر بعضهم ثقة بتأكيدات سير دوجلاس بينما اعتبر آخرون الثقة بأي تاكيدات شخصية بعد الرفض الرسمي عملاً غير وطني)).[٦]وبذلك انقسم المؤتمر إلى فريقين واشتدّ الخلاف بين رئيس المؤتمر وإسماعيل الأزهري. وفي عام ١٩٤٣م. سيطر إسماعيل الأزهري على رئاسة المؤتمر بعد الانتخابات والفوز بالأغلبية .[٧] عمل الأزهري من داخل المؤتمر حركة سياسية لم تعلن بعد عن نفسها. أطلقوا على اتباعهم الأشقاء، ويقول الأستاذ محمد أحمد محجوب: ((دعا أعضاء هذه الجماعة إلى شكل من الوحدة مع مصر ولكنهم أوضحوا سراً أن ذلك خطوة تكتيكية لا هدف

---

[١] الديمقراطية في الميزان، محمد أحمد محجوب، ص٤٠-٤١.
[٢] المرجع نفسه ، ص٤١.
[٣] المرجع نفسه، ص٤١.
[٤] انظر تاريخ السودان الحديث، ضرار صالح ضرار، ص٢٥١،٢٥٢.
[٥] ديوان شوقي الشوقيات، تحقيق إبراهيم أمين محمد، نشر المكتبة التوفيقية، القاهرة ـ مصر، ج١، ص ١٤٨.
[٦] الديمقراطية في الميزان، محمد أحمد محجوب، ص٤١.
[٧] انظر تاريخ السودان الحديث، ضرار صالح ضرار، ص٢٥٢.

حقيقي، وإن الغاية هي استعمال مصر ضد بريطانيا الشريكة الأخرى في الحكم الثنائي)).[١]

فأخذ المؤتمر ينحلّ وينوب عنه أحزاب سياسية. يقول السيد محمد أحمد محجوب: ((ألّفتْ جماعة من الخريجين تتعاون مع السيد عبد الرحمن المهدي في شباط (فبراير) عام ١٩٤٥م. حزب الأمة الذي كان أول حزب سياسي في البلد. كان شعار هذا الحزب(السودان للسودانيين)وقد دعا إلى الاستقلال عن كلٍّ من مصر وبريطانيا...وحصل ضمناً على موافقة حكومة السودان البريطانية)).[٢]أسرع حزب الأشقاء للإعلان عن نفسهم كحزب سياسي في البلد وكان شعارهم وحدة وادي النيل مصر والسودان. وبذلك أنتهى دور مؤتمر الخريجين.

اتخذ حزب الأمة سنداً وعوناً من السيد عبد الرحمن المهدي، وانضمّ أكثر الأنصار لهذا الحزب، بينما وجد حزب الأشقاء فرصة لكسب الختمية فربطوا نفسهم بالسيد علي الميرغني زعيم الختمية[٣].

وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية لاح ضوء الاستقلال في عيون السودانيين، إلا أن اتفاقية صدقي بيفن خيّبت آمال السودانيين. إذ يقول السيد محمد أحمد محجوب بأنها نصت على: ((إن السياسة التي تعهدتها بريطانيا ومصر في السودان ستكون ضِمن إطار الوحدة بين السودان ومصر تحت تاج مصر المشترك...إن هذه السياسة تضمن رفاهية السودانيين، وتنمية مصالحهم، وإعدادهم بصورة فعّالة للحكم الذاتي)).[٤]وبذلك كسب السياسي المصري صدقي بيفن قضية السودان، لكن السياسيين

---

[١] الديمقراطية في الميزان، محمد أحمد محجوب، ص٤١.
[٢] المرجع نفسه، ص٤٣.
[٣] انظر الإسلام في السودان، ج. سبنسر تريمنجهام، ترجمة فؤاد محمد عكود ،نشر المجلس الأعلى للثقافة، سنة٢٠٠١م، ص ٢٥١.
[٤] الديمقراطية في الميزان، محمد أحمد محجوب، ص ٤٥.

السودانيين لم يقفوا مكتوفي الأيدي. إذ نقلوا قضيتهم إلى العالم فسافر وفد من السياسين الرافضين للوحدة مع مصر إلى بريطانيا؛ ليشرح لهم وضع السودان وسخط الشعب من اتفاقية صدقي بيفن، ورغبة المواطنين بالاستقلال. يقول الأستاذ محمد أحمد محجوب، وهو أحد الأفراد الذين سافروا مع الوفد السوداني إلى لندن: ((حين رأيت مستر كريتشن – جونز، وزير المستعمرات قلت له بجفاء: خدعت بريطانيا السودان. فأجاب، اسمع كافحنا وأصدقائي ضد الاستعمار طوال العشرين سنة الماضية. لن نؤيد الاستعمار ما دمنا في الحكم، ثم قادني إلى كرة للعالم في مكتبه وقال: واجبنا أن نزيل الأحمر عن الخريطة. كان معظم الخرائط في ذلك الوقت يظهر الممتلكات البريطانية باللون الأحمر)).[١]

توالت الحكومات على مصر في تلك الفترة وفي وزارة النقراشي نقلت مصر قضية السودان إلى مجلس الأمن. طالبَ السودانيون في الجلسة بالاستقلال، وحق تقرير المصير، وعدم رغبتهم في الانضمام لمصر. ولقد التقى الوفد السوداني بشخصيات بارزة في مجلس الأمن قبل انعقاده؛ لشرح قضيتهم في تقرير المصير ومن أبرز هذة الشخصيات (أندري غروميكو) الممثّل السوفيتي الدائم في مجلس الأمن، وقد تفهم قضية السودان وكان أكثر تفاعلاً مع الوفد السوداني في تقرير المصير.[٢]يقول محمد أحمد محجوب: ((والواقع أنه أُعِلن في المجلس بعد نصف ساعة أن الاتحاد السوفيتي يؤيد حقّ الشعب السوداني في تقرير المصير، فكانت ضربة مؤلمة للوفد المصري)).[٣]

تكاتفت جهود السياسيين السودانيين في تقرير المصير وأول عمل قاموا به هو إنشاء جمعية عمومية ومجلس تنفيذي وقد تحقق النصر عندما قدمت الجمعية العمومية

---

[١] الديمقراطية في الميزان، محمد أحمد محجوب ، ص٤٧.
[٢] انظر المرجع نفسه ، ص ٤٦،٤٧.
[٣] المرجع نفسه ، ص ٤٧.

بطلب إلى الحاكم العام يسمح لهم بالحكم الذاتي وقد وافق الحاكم العام بمناقشته، وذلك في عام ١٩٥٠م.[١]

حدثت احتجاجات في شوارع مصر على هذا القرار وقد تغييرت حكومات عدة والسودان جارٍ على قدم وساق نحو الاستقلال التام. يقول الأستاذ الشيخ أحمد عووضة: ((وقد صدر في الساعة الخامسة والدقيقة الخامسة والأربعين من مساء يوم ١٢ فبراير سنة ١٩٥٣م. البيان التالي: وقّع صباح اليوم اللواء أركان الحرب محمد نجيب رئيس مجلس الوزراء وسير رالف اسكراين ستيفنسون السفير البريطاني بالقاهرة اتفاقاً بين الحكومة المصرية وحكومة المملكة المتحدة في شأن إقامة الحكم الذاتي في السودان، وممارسة السودانيين حق تقرير المصير)).[٢]

أُجريت الانتخابات لتشكيل البرلمان السوداني ففاز فيه الحزب الوطني الاتحادي، واختير إسماعيل الأزهري رئيساً للوزراء، ومحمد أحمد محجوب زعيماً للمعارضة. وفي عام ١٩٥٤م. حضر ممثلو الدول العربية و الأجنبية لافتتاح البرلمان السوداني رسمياً.[٣]

جاءت جهود الأحزاب المتكاتفة في مصير واحد وهدف سامي لا يُعلا عليه شيء، وهو مصلحة البلد واستقلاله. يقول السيد محمد أحمد محجوب: ((جاء ضمان استقلالنا في ١٢ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٥٦م. حين قُبلنا عضواً في الأمم المتحدة وفي ١٩ تشرين الأول (ديسمبر)١٩٥٦م – وكنت وزيراً للخارجية – رفعتُ عَلَمَ السودان على مبنى الأمم المتحدة)).[٤]

---

[١] انظر الديمقراطية في الميزان، محمد أحمد محجوب ، ص٤٩.
[٢] السودان المفاوضات بين الحكومة المصرية والبريطانية من ١٣ فبراير سنة ١٨٤١م إلى سنة ١٩٥٣م، إعداد الشيخ أحمد عووضة، الشركة العالمية للطباعة والنشر، ص ٣٩٨.
[٣] انظر الديمقراطية في الميزان، محمد أحمد محجوب، ص٥٣، ٥٤.
[٤] المرجع نفسه ، ص ٥٩ ، ٦٠.

وقد حددّ السودانيون اليوم الأول عن السنة الجديدة ١٩٥٦م. ليُعتبر يوم الاستقلال الوطني عن حكم المستعمر الذي طال لمدة ثمان وخمسين سنة.[١] حيث جاء الاستقلال عن طريق الحوار السياسي المضني، ولافرق بينه وبين تلك الدماء التي سفكت من أجل هذا الوطن. والسودان أول دولة أفريقية تحصل على الاستقلال في تلك الفترة.[٢]

رغم هذا الحراك السياسي الواسع خلال نشأة الشاعر حمزة الملك طمبل إلا أنه لم يرد اسمه في أي من الجمعيات الأدبية أو الأندية المنتشرة في البلاد ولا الأحزاب السياسية.[٣]

---

[١] انظر المرجع نفسه، ص٥٨.

[٢] انظر المرجع نفسه، ص ٥٨، ٥٩.

[٣] انظر الأدب السوداني و ما يجب أن يكون عليه ط٣، حمزة الملك طمبل، شرح و تقديم محمد إبراهيم الشوش، نشر الأمانة العامة للخرطوم عاصمة الثقافة،سنة ٢٠٠٥م، ص٥.

المبحث الثاني

الحياة الاجتماعية من عام ١٨٩٨ – ١٩٥٦م.

إن النظام الاجتماعي في السودان قد مرّ بتطورات عبر مراحل التاريخ، فكان لكلّ عصرٍ تنظيمه الخاص به يتلاءم مع الظروف المحيطة بذلك المجتمع.

فالتنظيم القبلي هو الشكل الأول لتكوين المجتمع في السودان، وأساس هذا التنظيم هو زعيم القبيلة وغالباً ما تكون سلطته وراثية، وله نفوذ سياسي واجتماعي واقتصادي في قبيلته وأتباعه، وطاعته ملزمة لبقية القبيلة. وعلى عاتقه تقع مسؤولية توزيع الأراضي الزراعية أوالرعوية، وتكون له الحصة الأكبر في ذلك. كما أنه المسؤول عن فضّ النزاع إذا حدث داخل القبيلة أو خارجها، عن طريق العُرف والقوانين المحلية. وبلغ هذا التنظيم ذروته قبل وبعد مملكة الفور والفونج.[١]

وبعد ظهور المدن الكبيرة مثل سنار، وشندي، وبربر، وسواكن، والتطور الذي حصل في التجارة مع مصر عبر حلفا، أثّر ذلك في النظام القبلي وانحصر تقريباً ليحل محله نظام أوسع وأرقى، فنتشرتْ تعاليم الإسلام وأصبحت الشريعة الإسلامية تحل محل القبلية والعُرف، وأصبحت اللغة العربية لغة المخاطبات والمكاتبات، وانتشرت الطرق الصوفية وأخذت تضم مجموعة من القبائل، فبعد أن كانت هناك شلوخ لكل قبيلة في الشمال تمييزها عن غيرها، أصبحت بعض الطرق الصوفية لها شلوخها الخاصة تميزها عن الطرق الأخرى، وأضحى التنظيم القبلي لا يتناسب مع التطور الاقتصادي والاجتماعي الذي حدث.[٢]

كان لزعماء الطرق الصوفية نفوذ واسع بين السودانيين و الحكام ولهم يعود الفضل

---

[١] انظر الشبكة العنكبوتية www.m.ahewar.org>s.asp تاج السر عثمان- تطور أشكال التنظيم في السودان – الحوار المتمدن.

[٢] المرجع نفسه.

في نشر التعاليم الدينية، وبالتالي نشر اللغة العربية من خلال نظام الخلاوي.[١]

خلال الحكم التركي المصري حدث تطور اقتصادي واجتماعي لم يشهده السودان من قبل، إذ عمل الأتراك على توحيد السودان في وحدات إدارية جديدة، بعد ضم مديريات دارفور والجنوب. وبدأت القبائل والطرق الصوفية تنصهر وتتطور بدرجة أكبر في ظروف وأوضاع جديدة نتيجة للحروب، والضرائب، والتجارة وظهور مدن جديدة أكثر تمدناً. يقول الأستاذ محمد سعيد القدال: ((فالخرطوم التي نشأة كعاصمة إدارية انتعشت أيضاً كمركز تجاري منذ عام ١٨٣٤م. تحدثَ الرحالة أرسلان بك عن أهمية موقع الخرطوم التجاري وارتباطه بطرق القوافل التي تتجه منها إلى الشرق والغرب والشمال والجنوب. ثم اقترح إنشاء مدينة تجارية بها. ووضع لها الخرائط اللازمة. وهكذا غدت التجارة في هذه الحاضرة مهمة جداً، حتى أنها أصبحت وحدها تعادل جميع تجارة الأقاليم السودانية)).[٢]

أخذت الحياة الاجتماعية بالتطور مع التطور الحاصل في ميادين الحياة، وكان للإسلام الدور المهم في هذا المجال. وكذلك الحروب التي يقوم بها الأتراك. يقول الأستاذ محمد سعيد القدال: ((أنعش الحكم التركي تجارة الرقيق. فكانت الحكومة تقوم بغارات موسمية على القبائل لأسرهم واسترقاقهم وشاركت مجموعات من التجار والأجانب والجلابة في تلك التجارة)).[٣]

---

[١] انظر الشبكة العنكبوتية www.m.ahewar.org>s.asp تاج السر عثمان- تطور أشكال التنظيم في السودان – الحوار المتمدن.

[٢] الإنتماء والإغتراب دراسات ومقالات في تاريخ السودان الحديث، محمد سعيد القدال، نشر دار الجيل –بيروت، ط ١، سنة ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، ص١٠١ .

[٣] المرجع نفسه، ص٧٤.

ظلّت الصوفية تمارس طقوسها في عهد الحكم التركي المصري، وقد دعمت الحكومة نفوذ الختمية، فكان لها المكانة الاقتصادية والسياسية والمعنوية بين السودانيين والحكام.[١]

زال الحكم التركي المصري في السودان بقيام المهدية، فأثرت ثورة محمد أحمد في المجتمع السوداني، وهي خطوة أرقى لتوحيد قبائل السودان في شماله وجنوبه.[٢] يقول الأستاذ محمد سعيد القدال: ((ففكرة المهدي المنتظر كانت التعبير الأيديولوجي للنزوح والانصهار والتوحد،وتحت مظلتها الوارفة تجد القبيلة والطائفة والإقليمية مكاناً لها)).[٣] فحارب المهدي الطرق الصوفية، وألغى المذاهب الأربعة وجعل من القرآن المصدر الوحيد للتشريع والسنة.[٤] ومن بعده أثرَّ في المجتمع الخليفة عبد الله التعايشي بأعماله التعسفية، من خلال استدعاء القبائل من غرب السودان إلى العاصمة أم درمان في الدفاع عن وحدة الأمة وأصبحت المدينة فوق القبلية والأقليمية.[٥]

سقط السودان تحت الاحتلال الإنجليزي المصري سنة ١٨٩٨م. وزالت دولة المهدية التي أرهقت المجتمع السوداني، وكثر فيها الفقر، والجوع، والأمراض. يقول الأستاذ ضرار صالح ضرار: ((أنهكت الحروب التي استعرت منذ قيام المهدية السودان اقتصادياً، فالزراعة قلت، والأيدي العاملة نقصت، والتجارة اضمحلّت، والثروة الحيوانية تضاءلت. فلما سيطر الحكم الثنائي على البلاد كانت من أهم أغراضه رفع اقتصاديات البلاد إذ كان يريد أن يجني الفائدة من المواد الخام ويجد لمصنوعاته أسواقاً جديدة)).[٦]

---

[١] الشبكة العنكبوتية www.m.ahewar.org>s تاج السر عثمان- تطور أشكال التنظيم في السودان– الحوار المتمدن.
[٢] انظر الشعر في السودان، عبدة بدوي،سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الأدب، الكويت، يناير سنة ١٩٧٨م، ص ٣٧.
[٣] الانتماء و الاغتراب، محمد سعيد القدال، ص ١٠٧.
[٤] انظر الشعر في السودان، عبدة بدوي، ص٤٢.
[٥] انظر الشبكة العنكبوتية www.m.ahewar.org>s.asp تاج السر عثمان- تطور أشكال التنظيم في السودان.
[٦] تاريخ السودان الحديث، ضرار صالح ضرار. ص ٢٢٣.

إن الدول المستعمرة التي احتلت السودان لم يهمها المجتمع السوداني وما يعانيه، لذلك ظلّ السودان مكسب للاستعمار. يقول ج. سبنسر تريمنجهام: ((كان دائماً هدف القوى الأخرى التي حكمته (السودان) هو استغلاله كمصدر من مصادر توفير أدوات الرفاهية مثل الرقيق والعاج والذهب)).[١]

وعندما سيطر الإنجليز على السودان، كانت الغاية الأولى للإنجليز هي الأمن، لتتمكن من العمل في المشاريع ونشر الثقافة الغربية. ويعتبر هذا النظام الأول في تاريخ السودان الذي يهدف إلى رفاهية المواطن، لكن طبيعة السودان الجغرافية والاقتصادية غير مبشّرة بخير، فالصحاري الكبيرة واسعة، وعدم توفر طرق النقل، وقلة استصلاح الأراضي كل هذا وقف عائقاً أمام النشاط الاقتصادي.[٢]

أرادت الحكومة أن تشجع المواطنيين على زراعة الأراضي الصالحة. فأصدرت قانون تمليك الأراضي. يقول الأستاذ محمد سعيد القدال: ((كان قانون ملكية الأراض الزراعية لعام ١٨٩٩م. من أول القوانيين التي أصدرها الحكم البريطاني)).[٣]

لم تكن هنالك قيمة للأراض في العهود السابقة أي قبل الحكم الإنجليزي المصري واعتمد السودانيون على زراعة الأراضي القريبة من ضفاف الأنهار لبدائية وسائل الري والزراعة. يقول الأستاذ محمد سعيد القدال: ((لقد أدخلت الإدارة البريطانية نظام تسجيل ملكية الأرض بشكل منظم. فالناس في الماضي كانوا حريصين فقط على تسجيل الأراضي على ضفاف النيل، ولم يهتموا بالأراضي الزراعية الشاسعة، مما أعطى الإدارة البريطانية الفرصة لتسجيلها. وعندما تنبهوا لقيمة الأراض، كانت ملكيتها

---

[١] الإسلام في السودان، ج سبنسر تريمنجهام ، ص٢٤٣.
[٢] المرجع نفسه ، ص ٢٤٣.
[٣] تاريخ السودان الحديث، محمد سعيد القدال، الناشر مركز عبد الكريم ميرغني، ط١، سنة ١٩٩٢م ، ص ٣٦٠.

قدآلت للدولة)).[١] وفي عام ١٩٢٥م. أصبحت جميع الأراضي الغير مسجلة تابعة للدولة.[٢]

برزت في المجتمع شخصيات إقطاعية ساعدتهم الحكومة على امتلاك الأراضي الخصبة الواسعة. يقول الأستاذ محمد سعيد القدال: ((لكن الحكومة شجعت كبار الزعماء الصوفيين وزعماء العشائر ثم كبار الموظفين فيما بعد، على امتلاك المشاريع الزراعية على ضفاف النيل الأزرق والأبيض، مما جعل منهم أقطاعيين كبار، لم يقتصر الأمر على امتلاك الأراضي فحسب، بل أمتد ليشمل تسهيلات مالية لهم في شكل قروض وإعانات هبات. فحصل السيدان علي الميرغني وعبد الرحمن المهدي على نصيب الأسد)).[٣]

ومن أهم المشاريع الزراعية التي قامت بها الحكومة مشروع الجزيرة الزراعي، وكذلك خزان سنار المائي ليضمن الري المستمر للأراضي الزراعية. يقول الأستاذ ضرار صالح ضرار: ((وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى بدئ العمل في بناء الخزان بإستلاف مبلغ ثلاثة عشر مليون جنية من أصحاب رؤوس الأموال البريطانيين، وقبلت الحكومة البريطانية أن تكون ضامناً لحكومة السودان. وقامت شركة إنجليزية بالمشروع وأعطيت أمتيازاً بأستغلاله لفترة ثلاثين سنة انتهت في عام ١٩٤٩م ولكن في سنة ١٩٥٠م أصبح ملكاً لحكومة السودان)).[٤]

عملت الحكومة بإنشاء طرق للمواصلات لربط المنتج في البلاد إلى المستهلك في العالم الخارجي. يقول الأستاذ ضرار صالح ضرار: ((كان الرأي عند الحكومة أن

---

[١] تاريخ السودان الحديث، محمد سعيد القدال، ص٣٦٠ـ٣٦١.
[٢] انظر المرجع نفسه ، ص ٣٦٠ .
[٣] المرجع نفسه، ٣٦١.
[٤] تاريخ السودان الحديث، ضرار صالح ضرار، ص٢٢٥.

البحر الأحمر أسهل إتصالاً من حلفا حيث تنتقل الصادرات عبر مصر إلى الخارج، كذلك رؤي أن تربط البلاد بشبكة مواصلات بالسكة الحديدية من الأبيض إلى مدني والخرطوم وذلك لترحيل الصمغ من الأبيض، والقطن من الجزيرة عندما تتم زراعته....ولذلك أنشئت ميناء بورتسودان ورست فيها السفن سنة ١٩٠٧م. ووصل الخط الحديدي إلى الأبيض سنة ١٩١٢م. وبذلك أعدّت شبكة عصرية للمواصلات ربطت بين الأراضي المنتجة والميناء الحديثة)).[١]

وفي عام ١٩١٣م. كان هناك عجز في ميزانية السودان. وأثناء قيام الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م –١٩١٩م. عان السودان من الفقر والمجاعة. يقول حسن نجيلة: ((كانت الحرب العالمية الأولى...دائرة الرحى، واجتاحت السودان مجاعة عامة و اضطرت الحكومة إلى شراء الذرة و استجلابها من الهند و بيعها للسكان في حدود ضيقة و تحت رقابة رجال الإدارة والبوليس، وكتب قليلاتي في الرائد مقالاّ ملتهباّ تحدّث فيه عما يلاقيه الناس من ضائقة العيش)).[٢]

كانت الحكومة هي المسؤولية الأولى والأخيرة عن العملية الاقتصادية؛ لِما يعانيه البلد من الفقر والجهل الاقتصادي. يقول الأستاذ محمد سعيد القدال: ((تولّتْ الإدارة البريطانية أعباء السياسية الاقتصادية في السودان، إذ لم يكن بالبلاد حينئذ قوى اجتماعية قادرة على دخول ميدان النشاط الاقتصادي الذي يحتاجه رأس المال العالمي القادم من الخارج)).[٣] تغيرت الحياة الاجتماعية في ظل هذا التطور الجديد الذي لم يألفه السودانيون من قبل. يقول ج. سبنسر تريمنجهام: ((قد شهد السودان

---

[١] تاريخ السودان الحديث، ضرار صالح ضرار، ص٢٢٤.
[٢] ملامح من المجتمع السوداني ، حسن نجيلة، ج ١، ص٢٢.
[٣] تاريخ السودان الحديث، محمد سعيد القدال، ص٣٥٨.

تحولاً بسيطاً في السكان مقارنة مع ما كان عليه في عهد المهدية وهناك زيادة كبيرة في توظيف العمالة الموسمية)).[١]

أما التجارة الخارجية من تصدير الصمغ وغيره واستيراد السلع الأخرى كانت مقصورة على الأجانب غالباً. هذا ما أكده ج. سبنسر تربنيجهام: ((إنّ المجموعات التي تبيع منتجات الفلاحين(عدا القطن) إلى الأسواق الخارجية وتستورد السلع المصنعة هم الأجانب يونانيين وسوريين وأرمن)). [٢]

في ظل هذا التطور الذى شهدته البلاد، تأثرت الحياة الإجتماعية والاقتصادية، فظهرت مدن جديدة وانتعشت بها التجارة، وازداد الإقبال عليها لسهوله سُبل العيش. يقول الأستاذ محمد سعيد القدال: ((نشأت مدن جديدة ارتبطت بسكة الحديد، مثل عطبرة، وبورتسودان، والخرطوم بحري، وكوستي، وسنار التقاطع. كما انتعشت مدن أخرى من امتداد الخط إليها مثل: الخرطوم، والأبيض، وكسلا، والقضارف، و ودمدني. وساعدت سكة الحديد إلى دفع الطبقة الوسطى التجارية إلى موقع التأثير، فلم تعد تسيطر على تجارة التجزئة فحسب، بل على النشاط الاجتماعي والسياسي. وأنشأت حول مراكز سكة الحديد الأساسية طبقة عمالية حديثة. وأصبحت تلك الطبقة لا ترتبط بالقبلية والإقليم، وإنما بالعمل المشترك في مجال الإنتاج الواحد وتحت مخدم واحد)).[٣]

وفي سبيل تحقيق النجاح الزراعي والثروة الحيوانية التي اعتمد عليها السودان كلياً تقريباً. كان على الحكومة أن تعد الخبراء والمثقفين لإنجاح تلك المهمة. يقول: ج. سبنسر تربنيجهام: ((وتزايدت الحاجة إلى الوظائف مع القرار بتطوير الجزيرة وما تلاه من الازدهار الاقتصادي لما بعد الحرب، ومن ثمَّ فإن كل طلبة الكلية استوعبتهم

---

[١] الإسلام في السودان، ج. سبنسر تريمنجهام ، ص٢٥٤.
[٢] المرجع نفسه، ص٢٥٥.
[٣] تاريخ السودان الحديث، محمد سعيد القدال، ص ٣٦٥ .

الإدارة أو الخدمات الأخرى، وأصبح التعليم مترادفاً مع الحصول على الوظيفة الحكومية)).[١]

كان لهؤلاء المثقفين دورهم المؤثر في المجتمع السوداني الذي كان غارقاً في العادات القديمة والخرافات. فتأثروا بالثقافة الغربية عن طريق الصحف القادمة من مصر وأثروا في غيرهم. هذا ما أكده ج. سبنسر ترينجهام: ((إن القاهرة هي مكة الفكر بالنسبة للسوداني، إنها تصب سيلاً من الصحف والمجلات والمطبوعات الدينية والعصرية، ويمكننا أن نلمس في مقاهي أم درمان تصارع التيارات الفكرية وتفسخها والتعديلات التي يسببها تأثير الفكر الغربي على الأفكار الاجتماعية والسياسية)).[٢]

حاول هذا الجيل المثقف أن يقود المجتمع من خلال إقامة الجمعيات الأدبية وأندية الخريجين، دعوا من خلالها لتثقيف المجتمع وخصوصاً الشباب وتثقيف المرأة. وانقسم المجتمع إلى قسمين المثقفين المؤيدين التعليم الجديد والفريق الثاني المعارضين وهم المحافظون على العادات والتقاليد الإسلامية والعربية. ووقف معهم الإنجليز.[٣]ويرى المثقفون ضرورة تعليم المرأة باعتبارها تمثل نصف المجتمع أما المحافظون فيرون فيها انحلالا للمجتمع وتمزقه. يقول الأستاذ محمد سعيد القدال: ((بدأ تعليم البنات بداية بسيطة ولم يلقَ الاهتمام الذي لقيه تعليم الأولاد. فما كان البريطانيون يريدون الدخول في تجربة قد تثير معارضة أهل البلاد من المحافظين وهم كثر...وفي عام ١٩٠٠م. افتتحت مدرستان في الخرطوم وأم درمان)).[٤] وأول تعليم للبنات كان في رفاعة أقامه بابكر بدري في دارة.[٥]

فكان لدور التعليم الذي وضعته بريطانيا على الطرق الحديثة دوره في التأثير في المجتمع السوداني ذي الأغلبية الريفية، وكانت المدرسة تمثل خليطاً من القبائل

---

[١] الإسلام في السودان، ج. سبنسر تريمنجهام ، ص٢٤٥.
[٢] المرجع نفسه ، ص٢٤٩.
[٣] انظر تطور الشعر العربي في السودان ، بلة عبدالله مدني، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، سنة ١٩٨م، ج١، ص١٩٠.
[٤] تاريخ السودان الحديث، محمد سعيد القدال، ص٣٨٧.
[٥] انظر ملامح من المجتمع السوداني، حسن نجيلة، ج ١، ص٩٤.

والأقاليم هدفها التعليم والتثقيف. يقول الأستاذ محمد سعيد القدال: ((أصبحت المدارس مركزاً يفد إليها الطلاب من مختلف بقاع السودان. وكلما ارتفعوا درجة أعلى في مراحل التعليم، كلما ازدادوا بعداً عن القبيلة والإقليم. فنشأت بين الطلاب روابط جديدة تشدهم إلى تلك المؤسسات التي انبهروا بنور علمها وبالروابط الجديدة التي تولدت فيها، فكانت المدارس تربة لنشوء إحساس مشترك بعيداً عن القبلية والإقليمية)).[١]

ظهرت تنظيمات حديثة تضم جميع ألوان وأطياف الشعب السوداني من حرفيين وصناعيين وعمال وطلاب وغيرهم. يقول السيد عبد الرحمن عن تلك التنظيمات: ((التنظيم النقابي ظاهرة من ظواهر المجتمع الحديث والدولة الحديثة وقد تطور كوسيلة يرعى بها العاملون حقوقهم أمام المخدم سواء كان قطاعاً خاصاً أو حكومة)).[٢]

فكان لتزايد العمال في المشاريع التي أقامها الإنجليز دور هام في ظهور النقابات العمالية التي كانت أكثر انسجاماً. و أول تنظيم نقابي في البلاد كان بعطبرة لعمال السكك الحديدية. ويرى بعضهم أنه يعود إلى عشرينيات هذا القرن، وذهب آخرون، بأن بعضهم شارك في ثورة ١٩٢٤م.[٣] يقول الأستاذ حيدر إبراهيم علي: ((لكن البداية الحقيقية للنقابات كانت عام ١٩٤٦م. في عطبرة باعتبارها مركز رئاسة مصلحة السكك الحديدية، حيث يوجد أكثر من أربعين بالمئه من مجموع عمال السكك الحديدية، فقد كوّن العمال بعد سلسلة من الاجتماعات والمفاوضات (هيئة شؤون العمال) ولم يُعترف رسمياً بهذا التنظيم إلا في يوليو ١٩٤٧م. نتيجة إضراب عمال السكك الحديدية الذي استمر من ١٢ إلى ٢٢ يوليو وكانت النتيجة

---

[١] تاريخ السودان الحديث، محمد سعيد القدال، ص٣٨٨.
[٢] المجتمع المدني والتحول الديمقراطي في السودان، د. حيدر إبراهيم علي ، تقديم :د. سعد الدين إبراهيم ، إصدار مركز ابن خلدون، بالاشتراك مع دار الأمين للنشر والتوزيع، مصر القاهرة، سنة ١٩٩٦م، ص١٢٥.
[٣] انظر المرجع نفسه، ص١٢٥ـ١٢٦ .

إصدار قانون نقابات العمل ١٩٤٩م. الذي يعطي العمال حق الإنتظام في نقابات عمالية تدافع عن مصالح أعضائها)).[١]

كما كان للأحزاب الدور في تشكيل المجتمع السوداني.إذ تشكلت الأحزاب عن طريق مؤتمر الخريجين، على أساس طائفي له جذوره المتأصلة من الحكم العثماني المصري في السودان. والخلاف الدائر بين طائفة الميرغنية ودولة المهدية. يقول: ج. سبنسر تريمنجهام: ((الإحساس السياسي في السودان كأي شيء آخر لا يمكن فهمه دون أخذ الدين في الاعتبار، لقد انقسم نادي الخريجين الذي بدأ أساساً كنادٍ للأفندية الذين تلقوا تعليماً في المدرسة الوسطى في عام ١٩٣٢م. إلى طائفتين (مهديين وميرغنيين) عند انتخاب الرئيس وهاتان الطائفتان هما الآن الحزبان الرئيسيان الأمة والأشقاء)). [٢]

كما أن للصحافة دوراً مباشراً في وعي المجتمع. فشاركت في تثقيف المواطنين وحثّهم على القراءة، إذ كانت الأمية متفشية في السودان. يقول الأستاذ ج. سبنسر: ((وكانت للصحافة مكانة بارزة في السودان عما عليه في البلاد الإسلامية الأخرى، ولم تزد نسبة من يعرفون القراءة والكتابة عن أثنين بالمئه وأقل من هذه النسبة ينفقون يومياً قرشاً واحداً لشراء الصحف، كما أن هناك قراءة للصحف بصوت عالٍ في المقاهي)).[٣]

سار المجتمع السوداني على خطى النجاح مواكباً التطور الحاصل في العالم. رغم ما وقفت بوجهه من عقبات المحافظين ورجال الدين والحكومة. لكنه مازال يعاني من ترسبات الأعراف والتقاليد المتوارثة إلى اليوم. يقول الأستاذ محمد سعيد القدال: ((ظل أهل السودان يعتمدون على العلاج بالطب الشعبي، الذي مازال يمارس حتى

---

[١] المجتمع المدني والتحول الديمقراطي في السودان، حيدر إبراهيم علي، ص١٢٦.
[٢] الإسلام في السودان، ج. سبنسر تريمنجهام ، ص٢٥١.
[٣] المرجع نفسه، ص٢٥٧.

اليوم، ليس في المناطق النائية التي لم تحظ بخدمات طبية حديثة، بل في بعض المناطق الحضرية، والطب الشعبي له جوانب متعددة، فالبصير يعالج الكسور،والحلاق يقوم بالحجامة وختان الأولاد، والشلاق يجري عمليات جراحية في العين لإزالة الماء الأبيض)).[١] استطاع المجتمع السوداني أن يندمج في السوق العالمي، وبدأت البلاد عن طريق الاتصال بالحضارة الغربية في التكيّف مع الاقتصاد والفكر ومجالات الحياة الاجتماعية الأخرى.

يظهر أثر الحياة الاجتماعية في حمزة من خلال معالجته لموضوعات اجتماعية مرتبطة بعالم الخرافة و الجهل الذي كان سائداً في عصره، كما يتضح في قصيدة الودع، والحاوي وغيرها.[٢]

[١] تاريخ السودان الحديث، محمد سعيد القدال، ص٣٨٩.
[٢] انظر الأدب السوداني و ما يجب أن يكون علية ط٣، حمزة الملك طمبل، ص ١٤، ١٥ ، ١٦.

المبحث الثالث

الحياة الثقافية من عام ١٨٩٨ – ١٩٥٦م.

كان التعليم قَبل الحكم الثنائي الإنجليزي – المصري في الدولة المهدية معتمداً على التعلم في الخلاوي. وكانت تمثّل الخلوة الوحدة التعليمية الرئيسة في السودان، ومهمتها الأساسية نقل العلم الديني إلى الطلاب، وحفظ آيات القرآن وبعض العلوم الفقهية.[١]

ألغى الإنجليز الخلاوي التي أقامها المهدي؛ كي لا تبث الروح الجهادية ضد الإنجليز وأقاموا بدلاً عنها التعليم الحديث النظامي، الذي لم يلبِّ رغبات السودانيين المتزايدة مع قلة المدارس. يقول الأستاذ مصطفى عوض الله بشارة: ((لقد سعتْ الإدارة البريطانية في السودان إلى انتزاع الشخصية السودانية من أصالتها وجذورها حيث اقتضتْ مخططاتهم التي تهدف إلى (أنجلزة) السودانيين، بأن تغلقَ آلاف المدارس التي كانت تُعنى بتحفيظ القرآن، خشية أن تُوقظ الروح الديني المجاهد من جديد ولم تجعل لها بديلاً، فكان عدد الأطفال الذين يتقدمون للالتحاق بالمدارس الأولية القليلة، بكلِّ مدرسة منها، يقرب من خمسمائة طفل، ولا يؤخذ منهم سوى أربعين)).[٢]

لم يكن التعليم النظامي جديداً على السودانيين. فقد عرِف السودان التعليم النظامي في عهد الحكم التركي المصري. يقول الأستاذ نعوم شقير ذاكراً فضائل عبد اللطيف باشا: ((ومن آثاره أنه جدد ديوان الحكمدارية في الخرطوم فبقي إلى الثورة المهدية، وأنشأ مدرسة أميرية في الخرطوم برئاسة رفاعة بك الذي حضر من مصر ومعه بيومي بك وكثير من الكتبة والمعلمين)).[٣]

---

[١] تاريخ السودان الحديث، ضرار صالح ضرار، ص ٢٢٦.
[٢] الشعر السوداني على منصة التاريخ، مصطفى عوض الله بشاره، ص ٢٨٦.
[٣] جغرافية وتاريخ السودان، نعوم شقير، ج٣، الباب الأول، ص ٥٢٤.

يعتبر كتشنر أول من دعا إلى التعليم في السودان. يقول الأستاذ ضرار صالح ضرار: ((كان كتشنر واضع أول لبنة تعليمية في السودان. فقد انتهز فورة حماس الشعب البريطاني لانتقامه لغردون...فطلب من البريطانيين أن يتبرعوا لتخليد ذكرى الجنرال غردون بإنشاء معهد تعليمي في السودان يطلق عليه كلية غردون التذكارية، وجمعت التبرعات في بريطانيا وبلغت مائة الف جنية، وبُدئ العمل في البناء الذي تم في عام ١٩٠٢م)).[١]

إن هدف الإنجليز من إدخال التعليم في السودان، كان الغاية منه أن يساعدهم الخريجون في بعض الوظائف الصغيرة، ككتبة وغيرها، وكذلك ليحلّ السودانيون بديلاً عن الموظفين المصريين. يقول الأستاذ ضرار صالح ضرار: ((قررّ اللورد كرومر أن يدخل التعليم بأهداف لخصها في قوله: أنني أوضح ما أعنيه بالطبقة المتعلمة فأنا لا أرمي إلى التعليم العالي فأن كلَّ ما تتطلبه الحاجة الآن هو تلقين بعض المعلومات في القراءة والكتابة والحساب لعدد خاص من الشباب؛ حتى يتمكنوا من احتلال بعض المناصب الصغرى في إدارة القطر، وإن الحاجة لهذه الطبقة لجد عظيمة)).[٢]وبعد افتتاح كلية غردون نقلت إليها المدارس التي كانت في أم درمان. يقول الأستاذ عز الدين الأمين: ((وفي أكتوبر سنة ١٩٠٢م. تمت المباني الخاصة بها،(كلية غردون)وافتتحها كتشنر عندما زار البلاد لهذا الغرض. ثم بدأت الدراسة بها في أكتوبر سنة ١٩٠٣م. ونُقلت إليها الأقسام التي فتحت مؤقتاً بأم درمان والخرطوم، وتطورت هذه الكلية بعد ذلك وأُنشئت فيها أقسام مختلفة، وكانت أهم

---

[١] تاريخ السودان الحديث، ضرار صالح ضرار، ص٢٢٦ ـ ٢٢٧.
[٢] المرجع نفسه، ص٢٢٦.

أقسامها في عهدها الأول: قسم معلمي اللغة العربية والقضاة الشرعيين وقسم مدرسي اللغة الإنجليزية والعلوم الحديثة، وقسم الهندسة)).[١]

رغم ما يعانيه السودان من الفقر في تلك الفترة إلّا أن وزير المعارف استطاع أن يتوسع في التعليم. يقول الأستاذ ضرار صالح ضرار: ((لم يكن من الممكن في تلك الظروف المالية أن يتوسع التعليم حسب رغبة الأهلين؛ لأنّ البلاد كانت فقيرة، لكن مع ذلك نجد أن مدير المعارف السيد جيمس كري كان مخلصاً في رغبته لزيادة المدارس حتى استطاع أن يفرض ضريبة خاصة للتعليم ساعدت بعض الشيء في إنشاء مدارس مختلفة..وتُذكر أعمال السير كري بمزيد من التقدير بين السودانيين خاصة الذين عاصروه وهو الذي أنشأ الكلية الحربية بالإضافة إلى التوسع في التعليم)). [٢]

كان أغلب المدرسين هم من المصريين والسوريين. يقول الأستاذ ضرار صالح ضرار: ((كان الأساتذة المصريون هم أعمدة التعليم في المدارس الابتدائية والثانوية والكلية ولهم فضل كبير في تشجيع تلاميذهم على الاطلاع خارج ساحات المدارس ونهل الثقافة العربية)).[٣]كما أُفتتِحَ معملٌ كيمياوي في كلية غردون، ويُذكر فضل المستر (ولكم) إذ أهدى معداته للكلية التذكارية.[٤]

شعر السودانيون بضرورة التعّلم، ومواكبة مايحصل من تطورات في العالم العربي والعالمي. يقول الأستاذ محمد أحمد محجوب: ((بدأنا ندرك أننا في حاجة إلى أسلحة تختلف عن تلك التي استعملها آباؤنا. كنّا ورثة ماضٍ بطولي مجيد وسدنة

---

[١] نقد الشعر في السودان حتى بداية الحرب العالمية الثانية، عز الدين الأمين، الناشر دار جامعة الخرطوم، الطابعون مطبعة جامعة الخرطوم، ط١، سنة١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م. ص ١٨.
[٢] تاريخ السودان الحديث، ضرار صالح ضرار، ص٢٢٧.
[٣] المرجع نفسه، ص٢٢٨.
[٤] انظر المرجع نفسه، ص٢٢٧.

حاضر مظلم. وخطاب مستقبل مجهول. فإذا كنّا نريد أداء دورنا واستعادة حرية بلدنا. فإن علينا أن ننبذ السيف والرمح ونستعمل الأسلحة الجديدة الخاصة بالتربية والمعرفة والثقافة الحديثة)). [١]

وقف بعض الشيوخ ورجال الدين الموقف السلبي أمام التطور الحاصل في السودان، وخصوصاً العملية التعليمية واعتبروها مناقضة لتعاليم القرآن الكريم، وهدم التراث العربي، والثقافة الإسلامية.[٢]لكنّهم سرعان ما واكبوا التطور ودعوا إلى التعلم الجديد الحاصل في البلاد. يقول الأستاذ بله عبد الله مدني: ((لما رأوا (رجال الدين والشيوخ) بعض المتعلمين على النهج الجديد ينادون بصون الدين وإعزازه والحديث عن اللغة العربية وتمجيد ماضي العرب والإسلام صدوا عن هذا المفهوم ودعوا إلى التعليم الجديد وألحوا في طلبه وذموا الجهل ونسبوا إليه ما أصابهم من التأخير والضعف وهم في معظم الأحوال يقرنون العلم بالدين والخلق)).[٣]

يقول الشيخ عبد الله عمر البنا في الحثّ على طلب العلم: الوافر

لنا بالطب جهل أي جهلٍ فإن الجهلَ في شعب مماتُ
فكيف يحوز قصب السبق قطر جفاه مع المحامين الأســـاةُ
شباب القطر في لهفٍ وشوق إلى سبب تـــزول به الأذاةُ.[٤]

كما دعا الجيل الجديد إلى تثقيف المرأة، ولكن فريق المحافظين وقفوا ضد تثقيف المرأة واعتبروها فساد و انحلال للمجتمع. بينما يرى الجيل المثقف بضرورة أن تأخذ دورها باعتبارها جزءاً من المجتمع.[٥]يقول الأستاذ حسن نجيلة: ((يدور كل هذا الجدل في الوقت الذي أقدم فيه رجل عظيم على اتخاذ خطورة جريئة فأنشأ أول

---

[١] الديمقراطية في الميزان، محمد أحمد محجوب، ص ٣٢.
[٢] انظر تطور الشعر العربي في السودان، بلة عبد الله مدني، ج١، ص١٩٠.
[٣] المرجع نفسه ،ص١٩٠، ١٩١.
[٤] ديوان عبد الله محمد عمر البنا، ج ١، ص ١٠٢.
[٥] انظر تطور الشعر العربي في السودان، بلة عبدالله مدني، ص٨٧.

مدرسة أولية للبنات في السودان ١٩٠٧م. أنشأها في داره في رفاعة وناله في سبيل ذلك ما نال أصحاب الرسالات ذلكم هو الشيخ بابكر بدري طيب الله ثراه)).[١]

أقبل السودانيون بجدٍ وعزيمة في طلب العلم فالتحقوا بكلية غردون، وتخرجوا فيها. فظهر جيل جديد مثقف، عمل على تكوين ملتقيات ثقافية وجمعيات أدبية واجتماعية وفكرية. فكان لهذه المجالس والمنتديات الدور البارز في تشكيل نادي الخريجين بأم درمان ومن ثم الأندية الأخرى. يقول الأستاذ عز الدين الأمين: ((أما أندية الخريجين فكان أول نادٍ افتتحوه فيها هو نادي خريجي مدارس السودان بأم درمان، وهو الذي أصبحوا يتحدثون عنه فيما بعد بشيخ الأندية، وكان افتتاحه في يوم ١٨ من مايو ١٩١٨م. وانتخب حسين شريف أول رئيس له)).[٢]

فكان لنادي الخريجين الأثر الواضح في توعية الشباب وتثقيفهم وحثّهم على الدراسة. ومنه خرج أول تنظيم سياسي (جمعية الاتحاد).[٣]

أدرك السودانيون بأن الإنجليز يضنون بالعلم، ولا يعطونه إلا بالمقدار اليسير. يقول الأستاذ مصطفى عوض الله بشارة: ((في فترة الحكم الاستعماري ضيقت مصلحة المعارف من التعليم الأوسط ما وسعها التضييق فحتى عام ١٩٤٦م. لم يجاوز عدد المدارس الوسطى إحدى عشرة مدرسة، وكان التلاميذ يدفعون أجراً يوازي ما أُنفق عليهم)).[٤]

عمل المثقفون في جمعية الاتحاد على مساعدة الطلاب بإكمال دراستهم في مصر. يقول الأستاذ عز الدين الأمين: ((كانت جمعية الاتحاد السوداني السرية قد يسّرت أول نزوح للطلبة في ذلك العهد، إذ كان من أهدافها أن تساعد بعض طلبة كلية غردون على النزوح لمصر لمواصلة تعليمهم هناك. وقد أمكنها سنة ١٩٢٣م. أن ترسل بعض الطلبة، فالتحقوا بجامعة فؤاد الأول جامعة القاهرة الآن...وكان أول من

---

[١] ملامح من المجتمع السوداني، حسن نجيلة،ج١، ص ٩٤.
[٢] نقد الشعر في السودان، عز الدين الأمين، ص٣٧.
[٣] انظر الشعر السوداني على منصة التاريخ، مصطفى عوض الله بشاره، ص٢٢٧.
[٤] المرجع نفسه، ص٢٨٦.

سافر من الطلبة النازحين، توفيق أحمد البكري وبشير عبد الرحمن ثم لحق بهما الدرديري أحمد إسماعيل سنة ١٩٢٤م. وقد مضت حياتهم في مصر شاقة عسيرة حتى عطف عليهم الأمير عمر طوسون فرتب لهم إعانات شهرية)). [١]

حارب الإنجليز تعليم السودانيين في مصر، واعتبروا من يذهب للدراسة هناك خارجاً عن القانون، فكانوا يطاردونهم مستغلين نفوذهم في مصر، فضيقوا عليهم العيش، وحرموهم من أي معونات مادية أو معنوية، ومنعوهم من الرجوع لبلادهم.[٢] لقد شكا الأستاذ توفيق أحمد البكري من مضايقة الإنجليز له في مصر أثناء طلبه للعلم، وقد واساه الشاعر توفيق صالح جبريل بقصيدة يخاطبه بها، بعد هروبه مع زميله بشير عبد الرحمن. يصور فيها حالة الكفاح في طلب العلم.[٣] بعنوان إلى الشاعر الباكي جاء فيها: الكامل

حزْت الحقوق وجزت ما لمْ يرقه راقٍ وضاعت من يديَّ حقوق
(الشاعر الباكي) تألق نجمة وتــلألأت لما أطلّ بــروقٍ
وافى وبين يديه سفر جهاده نجم يضيء وللجهود شروق
هاجرت تبغي العلم تستدني العلا حتى احتواك مكانه المرموقِ
وهبطت مصر وأنت لستَ بآمنٍ والعيش مضنٍ والطريق سحيق.[٤]

إن نادي الخريجين كان النواة الأساسية لربط المثقفين والخريجين. يقول الأستاذ ضرار صالح ضرار: ((لم يكن لهؤلاء الخريجين من شأن يربطهم إلّا نادي الخريجين في أم درمان وهو النادي الذي زاره المستر سمسن مدير المعارف

---

[١] نقد الشعر في السودان، عز الدين الأمين، ص ٢٢-٢٣.
[٢] انظر المرجع نفسه، ص ٢٢.
[٣] انظر المرجع نفسه، ص ٢٣.
[٤] ديوان أفُق وشفق، توفيق صالح جبريل، تحقيق الدكتور محمد إبراهيم أبو سليم ومحمد صالح حسن، نشر دارالجيل، بيروت، ط ١، سنة ١٤١١هـ-١٩٩١م، ص ١١٢.

السودانية وقال فيه أن هذا النادي سيلعب دوراً خالداً في تاريخ البلاد. وكان سمسن يعرِف أن التعليم أساس لكل نهضة قومية)). [١]

ظهرت فكرة تكوين مؤتمر للخريجين من نادي ودمدني، على غرار المؤتمر الهندي. يهتم بالخريجين ويدافع عن حقوقهم. يقول الأستاذ عز الدين الأمين: ((دعا أحمد خير لقيامه لأول مرة في يونيو في عام ١٩٣٥م. على صفحات جريدة السودان. مستوحياً أسمه من المؤتمر الهندي ثم أعاد الدعوة مرة ثانية على صفحات مجلة الفجر في مايو ١٩٣٧م. وعندئذ تولَّى تنفيذ الفكرة نادي الخريجين بأم درمان وأصبح المؤتمر حقيقة وأقعة في فبراير سنة ١٩٢٨م)). [٢]

فكان لهذا المؤتمر والفروع التي فتحت له في المناطق الأخرى الدور الكبير في سير العملية التربوية، ودفع عجلة التعليم في السودان إلى الأمام. يقول الأستاذ عزالدين الأمين:((بدأ المؤتمر نشاطه ببعض الأعمال الاجتماعية مثل التعليم الأهلي فكان يُنشيء المدارس في نواحي السودان المختلفة، ويُعِيْنُ بعضها، كما أنه أنشأ عدداً من المعاهد العلمية في مستوى المدارس المتوسطة (الابتدائية آنذاك) كذلك كان يساعد على إنشاء مدارس القرآن الكريم والمدارس الليلية لمحاربة الأمية معتمداً على تبرعات المواطنين، وقد أمكنه حتى حلول الاستقلال سنة ١٩٥٦م. أن ينشئ إحدى وسبعين مدرسة، في حين أن المدارس المتوسطة الحكومية في عهد الاستعمار كانت قد بلغت ثلاثاً وثلاثين مدرسة فقط)).[٣] وفي عام ١٩٣٩م. أصدر المؤتمر صحيفة لتكون تعبيراً لحال الخريجين والمثقفين في السودان. وقد أثرّت أعمال المؤتمر في

---

[١] تاريخ السودان الحديث، ضرار صالح ضرار، ص٢٤٥.
[٢] نقد الشعر في السودان، عز الدين الأمين ، ص ٤١.
[٣] المرجع نفسه، ص، ٤٢.

الحياة الفكرية والثقافية والسياسية.[١]فخرج عن هذا المؤتمر أكثر الشخصيات الوطنية والتي عملت على استقلال البلاد في المستقبل.

إن وسائل التعليم والمنهج الذي اتبعته بريطانيا لم يكن واحداً في جميع بقاع السودان، بل حاولت جاهدة في فصل الجنوب الأفريقي عن الشمال العربي فتبنت التعليم في الشمال، بينما تُرِكَ الجنوب الأفريقي للإرساليات تتصّر الوثنيين هناك وتدير العملية التربوية حسب رغبتها وأهوائها.يقول الأستاذ ضرار صالح ضرار: ((استمرت الإرساليات المسيحية من كاثوليكية وبروتستانتية تسيطر على التعليم هناك حتى سنة ١٩٢٦م)).[٢]

إن الحكومة أطلقت زمام الأمر للإرساليات بنشر أفكارهم ومحاربة الإسلام والثقافة العربية، يقول الأستاذ مصطفى عوض الله بشارة: ((لقد وجه نقد مستمر لسياسة التعليم في السودان في فترة الحكم الاستعماري؛ لأن الجمعيات التبشيرية أخذت وضعاً مميزاً، وإنّ أبناء المسلمين في المدارس التبشيرية قد أُجبروا على تلقي دروس الدين المسيحي، كما أنه في جنوب السودان أطلق العنان للمبشرين واتبعتْ سياسة موجهة ضد الإسلام والثقافة العربية)).[٣]

قام الإنجليز بربط جنوب السودان بالدول المجاورة له، بحجة تعليم ابناءهم. يقول الأستاذ ضرار صالح ضرار: ((في سنة ١٩٢٨م. عقدت إدارة الحكم الثنائي مؤتمراً في الرجّاف حضره ممثلون عن حكومة يوغنده والكنغو البلجيكي والسودان وجمعية الإرساليات التبشيرية في الأقطار الثلاث...وكانت مديرية بحر الغزال ومنقلة قد وضعت تحت إشراف رئاسة بطريركية الإرسالية في شمال يوغندة عام١٩٢٦م. وكانت

---

[١] انظر نقد الشعر في السودان، عز الدين الأمين، ص٤٣.
[٢] تاريخ السودان الحديث، ضرار صالح ضرار، ص٢٢٨.
[٣] الشعر السوداني على منصة التاريخ، مصطفى عوض الله، ص٢٧٦.

أهم مقررات الاجتماع هي توحيد حروف الكتابة بين تلك الأقطار وجنوب السودان، كما نظر في موضوع الكتب المدرسية والأجرومية، باعتبار استبعاد اللغة العربية أمراً مفروغ منه)).[١]

تكاتفت جهود المثقفين من الجنوب والشمال في توحيد التعليم. وبعد عقد مؤتمر جوبا بعامين غيّرت بريطانيا من سياساتها في التعليم بعد أن قررت الأغلبية الجنوبية رغبتها الأكيدة في توحيد البلاد. يقول ضرار صالح ضرار: ((فقرر الإنجليز تعليم اللغة العربية في الجنوب وإرسال التلاميذ الذين يتمون تعليمهم الثانوي إلى الكلية الجامعية بالخرطوم بدلاً من كلية ماكريري في يوغندة تمشيئاً مع رغبة السودانيين الجنوبيين)).[٢]

وقد فشل الإنجليز في مخططهم هذا، إذ أصبح السودانيون أكثر وعياً وثقافة وحواراً سياسياً من العصور السابقة، وقد قفز السودان خطوات واسعة في طريق العلم والثقافة أثناء الحكم الإنجليزي المصري.

ويذهب الباحث مع رأي الأستاذ محمد أحمد محجوب في دور الإنجليز للتأثير في ثقافة السودانيين عندما يقول: ((حدث تطوران رئيسيان خلال الحكم الثنائي الذي دام ستة عقود حتى الاستقلال الثاني أحدهما رسوخ الوجود الإنجلو – مصري. والآخر وهو الأهم انتشار العلم بين الشعب السوداني)).[٣]

إن للصحافة الدور البارز في ثقافة أي مجتمع من المجتمعات في العالم. لم يكن السودان يعرِف الصحافة في أول الحكم الثنائي واعتمد على الصحف القادمة من مصر. فكانوا يقرأون الأهرام، والمؤيد، والمقطم، والسياسة اليومية والأسبوعية،

---

[١] تاريخ السودان الحديث، ضرار صالح ضرار، ص٢٢٨-٢٢٩.
[٢] المرجع نفسه، ص٢٢٩.
[٣] الديمقراطية في الميزان، محمد أحمد محجوب، ص ٣٢.

والرسالة، والثقافة. وكانت البلاغ أكثر الصحف متداولة في السودان حتى بعد ظهور الصحافة في البلاد.[١]

وأول صحيفة صدرت في السودان كانت صحيفة(غازيتة) وهي تابعة للحكومة. يقول الأستاذ عز الدين الأمين: ((وبدأت الصحافة في السودان بالصحافة الرسمية إذ أصدرت الحكومة في مارس عام ١٨٩٩م. غازيتة حكمومة السودان...وكانت غايتها نشر قوانين الحكومة وقراراتها ولوائحها وأوامرها)).[٢]

وكانت أول صحيفة سودانية هي صحيفة السودان. يقول الأستاذ نعوم شقير: ((وفي أوائل سنة ١٩٠٣م. منح الدكتور فارس نمر وشركاؤه الأجلاء امتيازا بنشر جريدة في السودان بأسم(السودان)فولجوا إداراتها وتحريرها إلى الكاتب الأديب المتفنن خليل أفندي ثابت من متخرجي المدرسة الكلية السورية النابغين، فأصدر مثالاً منها في ٢٤ـ سبتمبر ـ١٩٠٣م. ثم شرع في إصدارها تباعاً مرتين في الأسبوع)).[٣]

وأول صحيفة ظهر الكتّاب والشعراء والأدباء السودانيين على صفحاتهاهي صحيفة رائد السودان وهم يمثلون الجيل الأول من الأدباء بعد الدولة المهدية. ومن أبرز من كتب فيها من الجيل الجديد عبد الله عمر محمد البنا، وأحمد محمد صالح، وحسن بدري، وتوفيق صالح جبريل، بالإضافة إلى بعض الأدباء الذين عاشوا عصر المهدية والعصر الحديث.[٤]

وكانت هذه الصحيفة لشخصين يونانيين من المقيمين في السودان. وأهم أهدافها تثقيف القارئ، وموضوعاتها علمية أدبية اقتصادية، وبالإضافة إلى نقل الأخبار اليومية وكانت تصدر كل أسبوع.[٥]كان هناك تضيق من الحكومة السودانية على الكتّاب

---

[١] نقد الشعر في السودان، عز الدين الأمين، ص٢٧.
[٢] المرجع نفسه ، ص٢٧.
[٣] جغرافية وتاريخ السودان، نعوم شقير، ج٣، الباب الخامس، ص١٣٢٧.
[٤] انظر نقد الشعر في السودان، عز الدين الأمين، ص٢٨.
[٥] انظر المرجع نفسه، ص٢٨.

والمثقفين. يقول حسن نجيلة: ((كتب قليلاتي في الرائد مقالاً ملتهباً تحدث فيه عما يلاقيه الناس من ضائقة العيش. و أذكر أن عنوان مقاله هذا البيت من الشعر. الوافر

تموتُ الأُسدُ في الغاباتِ جوعاً ولحم الضأنِ يطرحُ للكِلابِ.[١]

وكان هذا البيت وحده من معاني الثورة والاستفزاز...فألقي القبض على الصحفي محرر الرائد وأعتقل)).[٢]

وأول صحيفة وطنية بحته هي صحيفة حضارة السودان ويقول الأستاذ عز الدين الأمين: ((وعندما توقفت رائد السودان عام ١٩١٨م. عمل حسين شريف على إصدار أول صحيفة وطنية صميمة فكانت صحيفة حضارة السودان التي صدر العدد الأول منها في يوم الخميس ٢٨ فبراير سنة ١٩١٩م)).[٣]

فكانت صحيفة اجتماعية أدبية تُعنى باللغة العربية وآدابها، ومنها الصفحات التي كانت تهتم بالأدب كشعر الفكاهة، والتشطير، والمعارضات، والمقالات الأدبية وكانت تُعيّنُ جائزة للفائز في تشطير شعر شعراء العرب القدامى، ومن أبرز من كتب على صفحاتها بخصوص الأدب: مقالات حسين شريف بعنوان الأدب وأين نحن منه؟ وظهر على صفحاتها رائدى النقد في السودان وهما الأمين على مدني، ومن بعده حمزة الملك طمبل، وكان حمزة ينوي التجديد في الشعر السوداني، فكانت مقالاته عن الأدب السوداني بعنوان: الأدب السوداني وما يجب ان يكون عليه.[٤]

وعن جريدة الفجر، فقد ظهرت في يونيو عام ١٩٢٤م. وهي نصف شهرية وقد أنشاها وترأسها عرفات محمد عبد الله. ولكنَّها لم تستمر طويلاً فأُغلقت بعد وفاته

---

[١] البيت الشعري للإمام الشافعي. انظر ديوان الشافعي المسمى (الجوهر النفيس في شعر الإمام محمد بن إدريس، تقديم وتعليق محمد إبراهيم سليم، نشر مكتبة ابن سينا، مصر الجديدة القاهرة،ص ١٥.

[٢] ملامح من المجتمع السوداني، حسن نجيلة. ج١، ص٢٢.

[٣] نقد الشعر في السودان، عز الدين الأمين ، ص٣٠

[٤] انظر نقد الشعر في السودان، عزالدين الأمين ، ص٣١،٣٢.

في الأول من أكتوبر سنة ١٩٣٥م. ومن أشهر الشعراء والكتّاب والمثقفين الذين كتبوا فيها: التيجاني يوسف بشير، ومحمد أحمد محجوب، ومرضي محمد خير، وصالح عبد القادر، وعبد القادر إبراهيم، وعبد الله عبد الرحمن، والهادي العمرابي، ومحمد عبد القادر كرف، وعرفات، ومحمد عشري الصديق، ومصطفى التني.[١]

تمثّل هذه الفترة في تاريخ السودان عهد النهضة في جميع المجالات وخصوصاً الأدب، إذ استطاع السودانيون خلال فترة وجيزة أقل من عقدين على الاحتلال البريطاني أن يصدروا ويحرروا الصحف السودانية الوطنية البحتة، وأن يملأوا الصحف بأقلامهم وبنات أفكارهم بعد أن كانت مصر تكتب وتطبع والسودان يقرأ فقط. فظهر كتَّاب وشعراء وأدباء يُشار لهم بالبنان.[٢]

استطاع حمزة أن يثقف نفسه ذاتياً من خلال اطلاعه الواسع على الأدب العربي الحديث والقديم،[٣]وتاثر بأدباء مصر وخصوصأ العقاد وجماعة الديوان، وكان للصحف داخل وخارج السودان الدور المؤثر في ظهور طمبل في الساحة الأدبية.[٤]

---

[١] انظر نقد الشعر في السودان، عزالدين الأمين، ص٣٤،٣٥.
[٢] انظر المرجع نفسه، ص٥.
[٣] انظر رواد الفكر السوداني، محجوب عمر باشري، ص ١٥٣، ١٥٤.
[٤] انظر تراجم شعراء وأدباء وكتّاب من السودان،محمود خليل محمد، ٢٠٠٩، وزارة الثقافة والشباب والرياضة، سلسلة ثقافة للجميع (١٢)، ص١٨٠.

الفصل الثاني: نشأة حمزة الملك طمبل و تكوينه الثقافي.

المبحث الأول: نشأته.

المبحث الثاني: تكوينه الثقافي.

المبحث الأول: نشأته.

اسمه:

حمزة بن الملك طمبل[١] حمد عبد الدائم وهو من أسرة الملوك في أرقو. يقول الأستاذ عز الدين الأمين: ((كان والده الملك طنبل حمد – هو من عائلة الزبير – كان حاكماً على أرقو. وقد آمنه إسماعيل باشا وثبته على كرسيِّه عندما جاء للسودان في بداية الفتح التركي المصري)).[٢]

لقبه:

لُقّب بشاعر الطبيعة، ونال هذا اللقب بجدارة حيث تغنى في ديوانه بطبيعة السودان خاصة والبيئة السودانية عامة. وأصبح علماً له في السودان. يقول الأستاذ محجوب عمر باشرى: ((فحمزة الملك طمبل هو الذي عبد الطبيعة ووصف مناظرها ومشاهدها، ووصفها وصف العاشق الولهان)).[٣]

يُعتبر من أوائل النقاد في السودان. يقول الدكتور محمد إبراهيم الشوش: ((يُعد(حمزة) من طلائع النقاد السودانيين في المجال الأدبي؛ وذلك لأنه أول من حاول أن يحلل القصيدة و يرد خيالاتها وظلالها إلى معنى الشعر، وهدف الشعر واستند في ذلك على مقاييس وحجج)).[٤]

---

[١] ((اسم جده طنبل الذي جرت العادة على كتابته (طمبل) ، وينطق باللغة النوبية في منطقة دنقلا: (تنْبل) ويعني الكريم))٠الشبكة العنكبوتية ، .sudan-forall.org>forum>viewtopic الشاعر حمزة الملك طمبل .

[٢] نقد الشعر في السودان، عز الدين الأمين، ص٩٠.

[٣] رواد الفكر السوداني، محجوب عمر باشري،نشر دار الجيل بيروت، ط١، سنه ١٤١١هـ ،١٩٩١م، ص١٥٤.

[٤] الأدب السوداني وما يجب ان يكون عليه، حمزة الملك طمبل، ص ٥.

يعد حمزة أبرز النقاد في السودان. يقول الأستاذ محمود خليل محمد: ((يعتبره بعض مؤرخى الأدب السوداني رأس النقاد للشعر السوداني)).[١]

مولده:

ولِدَ حمزة بعيداً عن السودان، في مصر بمدينة أسوان. يقول الأستاذ محمود خليل محمد: ((هو من مواليد عام ١٨٩٧ م)) .[٢]

عندما سافر والده إلى أسوان مرغماً تزوج هناك، و ولِدَ له ابنه حمزة. يقول الأستاذ عز الدين الأمين: ((قُبيل مطلع القرن العشرين انتقل طمبل إلى أسوان و أقام بها؛ وذلك لخلاف بينه وبين حكومة السودان. وقد تزوج هناك ابنة عبد الرحمن أفندي حسن أحد المهاجرين من السودان و أنجب منها ابنه حمزة)) .[٣]

نشأته:

نشأ حمزة في أول أيامه في أسوان مع والدته٠ يقول الأستاذ عز الدين الأمين: ((بعد عودة الوالد إلى أرقو، بقي حمزة مع والدته بأسوان، وهنالك تلقى تعليمه بالكتّاب)).[٤]

عندما عاد للسودان كانت له علاقات وطيدة بشعراء السودان والأدباء، رغم انتقاده لشعرائهم. يقول الأستاذ محمد إبراهيم الشوش: ((وقد جرّت عليه هذه الانتقادات والآراء التي كان يطلقها على شعراء وأدباء السودان كثيراً من الويلات والخصومات رغم أنه احتفظ بعلاقات وطيدة مع بعضهم من هؤلاء الشاعر أحمد محمد صالح وعبد الرحمن شوقي وغيرهم)).[٥]

---

[١] تراجم شعراء وأدباء وكتّاب من السودان، محمود خليل محمد، ص ١٨٠.
[٢] المرجع نفسه، ص١٨٠.
[٣] نقد الشعر في السودان، عز الدين الأمين، ص٩٠.
[٤] المرجع نفسه، ص٩٠.
[٥] الأدب السوداني وما يجب ان يكون عليه ط٣، حمزة الملك طمبل، ص٥.

أحبَّ حمزة الشعر والغناء لذلك كانت له علاقة حميمة مع الشاعر والفنان خليل فرح. يقول الأستاذ محجوب عمر باشري: ((لاشك أن صلته مع خليل فرح وعابدين الخانجي هي الأقوى؛ لأنه يحبّ الشعر والغناء والبهجة والمسرة فهذه الصلة مع هذين العلمين ربطته بتوفيق صالح جبريل)).[١] وكانت له علاقات طيبة مع القادة السياسيين أمثال على عبداللطيف وغيرهم. يقول الأستاذ محجوب عمر باشرى: ((كما أنه اتصل بدعاة التحرير والانعتاق من الحكم الأجنبى وبالأخص عبيد حاج الأمين وعلى عبد اللطيف؛ لكنه تفرغ للشعر والأدب أكثر من تفرغه للعمل السياسى فكراهته للإنجليز كانت كراهية شخصية لم تجعله يتخذ الموقف الإيجابى ليساند الثورة عياناً بياناً. وإن كان الثائرون أصدقاءه)).[٢]

كما كانت له علاقة وثيقة بأستاذه العقاد. يقول الأستاذ محمد إبراهيم الشوش: ((كان حمزة الملك طمبل يزور القاهرة من وقت لآخر، حيث يحرص على مقابلة أستاذه عباس محمود العقاد والجلوس معه)).[٣]

أسرته:

ولِدَ حمزة من أب سوداني يعود لعائلة الملوك في دنقلا وأم مصرية. هذا ما أكده الأستاذ محجوب عمر باشري: ((ينسب حمزة الملك طمبل لعائلة الملك الشهيرة في دنقلا، ولكن والدته من أصل مصري من أسوان)).[٤]

لم يكن لحمزة أخوة واسم والدته ست الكل. تقول ابنة أخته ملكة محمد عثمان: ((إن والدة حمزة مصرية الجنسية من أسوان واسمها ست الكل عبد الرحمن حسن أفندي، تزوجها الملك طمبل بعد هجرته إلى هناك وهو ابنها الوحيد)).[٥]

---

[١] رواد الفكر السوداني، محجوب عمر باشري، ص١٥٤.
[٢] المرجع نفسه، ص١٥٤.
[٣] الأدب السوداني وما يجب ان يكون عليه ط٣، حمزة الملك طمبل ، ص٦.
[٤] رواد الفكر السوداني، محجوب عمر باشري، ص١٥٣.
[٥] الشبكة العنكبوتية**www.alwatan.com.news** أوراق مجهولة من سيرة الشاعر حمزة الملك طمبل.

تزوج حمزة لفترة قصيرة ولم يدم زواجه فانفصل عن زوجته، ولم ينجب له طفل. هذا ما أكده الأستاذ أحمد محمد الملك من أقاربه يقول: ((إن حمزة أحضر معه من أسوان أحد أقربائه ليقيم معه بالقصر وكان اسمه فرج الله، كان يقوم على خدمته. وإنّ حمزة تزوج من إحدى بنات عمومته امرأة اسمها سارة لمدة شهرين فقط، ثم انفصل عنها ولم يتزوج مرة أخرى، ولم ينجب منها)). [١]

وصفه:

يصفه لنا الأستاذ حسن نجيلة عندما التقى به في سودري.[٢]قائلاً: ((كان حمزة فارع القوام تقريباً، أقرب للنحافة، ناحل الوجه، يدمن القراءة ولا يريد عنها بديلاً، أقرب للصرامة منه للبهجة والانطلاق)).[٣]

وفاته:

اتفقَ الكتّاب على أن حمزة سافر في آخر أيامه إلى مصر للعلاج، لكنّهم اختلفوا في سنة وفاته، يقول الأستاذ عبد المنعم عجب الفيّا: ((احتجب طمبل وانقطع عن الحياة العامة ولم ينشر شيئاً بعد ديوانه الطبيعة حتى وفاته في ١٩٦٠م)).[٤]

بينما يرى الأستاذ عز الدين الأمين أن وفاته سنة ١٩٦٢م. حيث يقول: ((تردّد أخيراً على القاهرة للعلاج وأُصيبَ في آخر حياته بسرطان الدم فدخل للعلاج منه مستشفى العجوز بالقاهرة، ثم عاد إلى أسوان في عام ١٩٥٩م. بها وافته المنية عام ١٩٦٢م. عن ثلاثة وستين عاماً)).[٥]رحم الله الشاعرَ والناقدَ حمزة الملك طمبل، لما قدمه للأدب السوداني نقداً وشعراً.

---

[١] الشبكة العنكبوتية **www.alwatan.com.news** أوراق مجهولة من سيرة الشاعر حمزة الملك طمبل.
[٢] انظر ذكرياتي في البادية، حسن نجيلة، ص١٥٦.
[٣] المرجع نفسه، ص١٥٩.
[٤] في الأدب السوداني الحديث نقد الأدب، عبد المنعم عجب الفيا، نشر دار نينوى للنشر و التوزيع ، دمشق، ط١، سنه ٢٠١١م، ص ١٣.
[٥] نقد الشعر في السودان، عزالدين الأمين، ص٩٠.

المبحث الثاني: تكوينه الثقافي.

ثقافته:

تعلّمَ حمزةُ القراءةَ والكتابةَ في مصر بمدينةِ أسوانِ مع والدته، عندما عاد والده إلى السودان أثناء الحكم الثنائي الإنجليزي المصري على السودان.[١]

دخل حمزة إحدى المدارس المصرية في أسوان وحفظَ بعض آياتِ القرآنِ الكريمِ وتعلمَ القراءة والكتابة فيها، يقول الأستاذ محجوب عمر باشري: ((تلقى تعليمه(حمزة) في مدرسة المواساة الإسلامية الابتدائية في أسوانِ. وكان من مدرسي هذه المدرسة عباس محمود العقاد)).[٢]

ويرى الأستاذ عز الدين الأمين بأنه لم يكمل دراسته فيها. حيث يقول: ((أُدخِلَ مدرسةُ المواساة. غير أنه لم يكمل دراسته بها ورغم عدم حصوله على شهادات دراسية. فإنه كان متفتحُ الذهنِ، محباً للإطلاع)).[٣]لكنَّ الباحث وجد في مراجع أخرى أنه قد أكمل دراسته فيها، ثم التحق بمدرسةِ المآمير في السودان.[٤]

زاولَ في أولِ أيامه العملَ في التجارة ثم تركها والتحق بمدرسة المآمير في الخرطوم. يقول الأستاذ عزالدين الأمين: ((حاول أول حياته الاشتغال بالتجارة. ثم أخذَ يسعى لدى حكومة السودانِ حتى أُلحِقَ بمدرسةِ نواب المآمير بالخرطومِ وتخرجَ فيها عام ١٩٢٣م. عُيِّن في وظيفة نائب مأمور. وتنقل في أثناء عمله بين مراكزِ مختلفة. وفي عام ١٩٣٢م. نُقِل إلى وظيفةِ مساعد مدير الحدائقِ بالخرطومِ)).[٥]

لم تثنِه الوظيفةُ عن حبِّ الشعرِ والأدبِ، ولم تكنْ ثقافتُه غربية بل تأثّر بما ترجمَه العقادُ. يقول الأستاذ محجوب عمر باشري: ((رجعَ إلى السودان فاُختِيرَ ليكون نائبَ مأمور، لكنه انصرف للأدبِ والشعر لم تكن ثقافتُه الغربيُة واسعة؛ لأنه لمْ يطلعْ

---

[١] انظر نقد الشعر في السودان، عز الدين الأمين، ص٩٠.
[٢] رواد الفكر السوداني، محجوب عمر باشري، ص ١٥٣.
[٣] نقد الشعر في السودان، عزالدين الأمين، ص٩٠.
[٤] انظرالأدب السوداني ومايجب أن يكون عليه. حمزة الملك طمبل، ط٣، ص٥. وكذلك كتاب (تراجم شعراء وأدباء وكتّاب من السودان)، محمود خليل محمد ،.ص١٨٠.
[٥] نقد الشعر في السودان، عزالدين الأمين، ص٩٠.

على أسسِ النقدِ الأوربي والشعرِ الأوربي إلّا من خلالِ الترجمةِ. لكنَّه تأثرَ بما قرأه للعقادِ والمازني وشكري والسباعي)).[١]

كان حمزةُ محبّاً للقراءةِ شغوفاً بها، فالتهم دواوينَ الشعراءِ والآراء النقديةِ للقدامى والمحضرين. واستطاعَ تثقيفُ نفسه ذاتياً. يذكر الأستاذ حسن نجيلة عن حبِّه للقراءةِ وشغفه بها وشجاعته في إبداءِ رأيه. قائلاً: ((دَعا مفتشُ المركزِ البريطاني موظفي مركز سودري. وهم عددٌ قليلٌ إلى تناول الشاي في دارِه لمناسبةٍ ما، وكان الموظفون يحرصون حرصاً بالغاً على تلبية هذه الدعوات التي يوجهُها إليهم الإداريون الإنجليز في موعدها المحدد، فإذا كان الموعد الخامسة مساءً تراهم يحرصون على أن يكونوا أمامَ دار المفتشِ في الخامسة تماماً لا تنقصُ ولاتزيد، وكان هو ينظرُ في ساعته فإذا ما جاءَتْ الخامسةُ تماماً هبَّ لاستقبالِهم عند عتبةِ الدارِ. ويندرُ أن يتخلَّفَ أحدٌ إلّا بعد سبقِ اعتذار أو لأمرٍ هام جداً...ولمَّا حانَ موعدُ الدعوةِ وجاءَ الموظفون في موعدِهم. إلّا حمزة، ودارتْ عليهم أقداحُ الشاي والمرطباتُ وحمزةُ هو نائب المأمور لم يظهرْ بعد،وجاء أخيراً يُدِيرُ عصاً قصيرةً بين يديهِ واستقبلَه المفتشُ متثاقلاً وأراد أن يحملَه على الاعتذار فقالَ في برود لعلَّكَ نمتَ يا حمزة ؟ فأجاب حمزة في برود لا يقلُ عن برود المفتش – كلا – كنتُ أُطالعُ كتاباً ممتعاً جداً ولولا أنني فرغتُ منه لتعذر مجيء إلى هنا)).[٢]

قرأ حمزة لكثير من الشعراء والنقاد كأبي العلاء المعري وابن الفارض والمحدثين كالعقاد والمازني وغيرهم، وكان يفضل من القدامى ابن الرومي. يقول الأستاذ محجوب عمر باشري: ((وقيل إن الشاعرَ العربي الوحيد من القدامى الذي أحبَّه حمزةُ الملك طمبل هو ابن الرومي)).[٣]

لم يدمْ حمزةُ طويلاً في الوظيفة حتى تركَها واستقرَّ في قصرِ والده المطل على النيل، فكان ملتقى للمثقفين و الأدباء. يقول الأستاذ محمد إبراهيم الشوش: ((لم يَلبثْ

---

[١] رواد الفكر السوداني، محجوب عمر باشري، نشر دار الجيل بيروت، ط١، سنة ١٤١١هـ - ١٩٩١م، ص ١٥٣.
[٢] ذكرياتي في البادية، حسن نجيلة، ص١٥٨-١٥٩.
[٣] رواد الفكر السوداني، محجوب عمر باشري، ص ١٥٤.

حمزة طنبل كثيراً في الوظيفةِ الحكومية فسرعان ما هجرَها ورحلَ إلى مسقطِ رأسِه بمدينةِ دنقلا حيثُ قصر والده. فكان مُلتقى للشعراءِ والأدباءِ والموظفين الذين يزورونَ دنقلا أو يعملون بها)).[١]

تأثرَ حمزةُ بكتّابِ مصر والدعوةُ التجديد في الشعر ضد جماعة إحياء الفكر العربي أمثال شوقي وحافظ وخصوصاً جماعة الديوان. يقول الأستاذ محمد النويهي: ((أما طنبل فهو ناقدٌ تأثرَ تأثراً كبيراً بدراستِه للنقادِ المصريين المعاصرين واستفادَ منهم كثيراً، وهو يطبق المقاييس النقدية الجديدة التي تعلمها منْهم على الأدبِ السوداني تطبيقاً يدل على أنه فهمَها ووعاها.فيستخرج بها نتائج قيمة وبعضُ أحكامِه يدلُ على ذوقٍ أدبي أصيل)).[٢]وعندما نقرأ لطنبل نحسُّ بذلك التأثّر الشديد من خلالِ استشهاده بآرائِهم أو شعرِهم كالعقادِ والمازني وشكري. فيصفُ شعرَ العقادِ بالرائع ويأتي بتعريفِ العقادِ للشعرِ وغيرها.[٣]

ويتضح مما تقدم أن ثقافة حمزة كانت ذاتيةً من خلالِ القراءة والمطالعة لكثير من كُتبِ الأدبِ العربي الحديثة والقديمة.

آثاره الأدبية:

كان للصحف والمجلات الدور المباشر لإبراز الأديب حمزة الملك طمبل سواء كانت هذه الصحف داخل أو خارج السودان، يقول محمد إبراهيم الشوش: ((نشر بدايات أعماله الشعرية في جريدة الحضارة السودانية وفي الصحف المصرية كالأهرام والبلاغ الأسبوعي)).[٤]

لقد ساهمت مقالات حمزة الملك طمبل التي نشرها في جريدة حضارة السودان للاتجاه بالشعر السوداني نحو هدف معين، وهذا الهدف هو غاية الشعر

---

[١] الأدب السوداني ومايجب أن يكون عليه.ط٣،حمزة الملك طمبل، ص٦.
[٢] محاضرات عن الاتجاهات الشعرية في السودان، محمد النويهي، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، سنة ١٩٧٥م، ص٤٨.
[٣] انظر الأدب السوداني ومايجب ان يكون عليه، ط٣، حمزة الملك طمبل، ص٣١، ص٣٣، ص٤٤.
[٤] المصدر نفسه ط٣، ص٥.

عنده، وكتب مقالاته باسم مستعار(أديب) تواضعاً منه كما يصرح نفسه في ردِّه على الأديب قدامة مخاطباً إياه قائلاً: ((أرجع إلى كلمة الحضارة التي ذيلت بها مقالي الأول (أديب) تعلم أنني أردتُ أن أكون مجهولاً عند كلِّ القراءِ ولم أسمحْ أن يعرفَ اسمي حتى ولو رئيس التحرير الذي ينشر ما أكتبُ وليس هذا شأن من يريد أن يمدحَ نفسه)).[١]

إنّ الحضارة رفضت نشر مقالات حمزة لأنها تتضمن اسم مستعار ولم يصرح باسمه. ففي مقالها(٥٩٠) نشرت مقالة حمزة وقد علقت عليه قائلة:((نشرنا هذه المقالة حرصاً منّا على أن لا يطوي ما تضمنته من حقائق وأفكار وروح ولكن كاتبها قد ضنَّ باسمه الصريح ولم يبينه حتى ولا في كتابه الخصوصي بل اكتفى بإمضاء (أديب) ولا نظنه يجهل القانون الصحافي)).[٢]

ويذهب الباحث مع رأي الأستاذ عبد المنعم عجب الفيّا حيث يقول: ((إلا أن جريدة الحضارة أغلقت الباب في وجه طمبل وتوقفت عن نشر مقالاته وردوده، وليس واضحاً سبب هذا الحظر الذي مارسته الجريدة على طمبل: هل هو ضيق الأوساط التقليدية والمحافظة أنذاك بجرأته في طرح آرائه وأفكاره التجديدية، أم هو إصراره على نشر مقالاته بلقب مستعار؟ أغلب الظن أن الاحتمال الأول هو الراجح وذلك لأن الكتابة بالأسماء المستعارة كان ديدن طلائع المثقفين السودانيين والكتّاب ولم يكن طمبل الكاتب الوحيد الذي يكتب بغير أسمه)).[٣]

وَأصل حمزة إصدار كتابه الذي وعد به حتى مع إغلاق الحضارة الأبواب بوجهه يقول الأستاذ عزالدين الأمين:((ففي أثناء عمله وكيل مأمور بمركز المناقل سابقاً نشر عام ١٩٢٧م مقالات في جريدة حضارة السودان. ثم أصدرها في كتابه الأدب السوداني ومايجب أن يكون عليه)).[٤]

---

[١] الأدب السوداني ومايجب أن يكون عليه.ط٣، حمزة الملك طمبل، ص٧٠.
[٢] المصدر نفسه ، ص٣٠.
[٣] في الأدب السوداني الحديث نقد الأدب، عبد المنعم عجب الفيا، ص ١٤.
[٤] نقد الشعر في السودان ،عزالدين الأمين، ص٩٠.

تناول حمزة في كِتابه(الأدب السوداني ومايجب أن يكون عليه) الشعر في السودان، ووعد بأن يكون خمسة أجزاء حيث يقول: ((ويحسن أن أنوه بأني سأتكلم بإيجازعن الشعر عموماً والشعر في السودان خصوصاً ثم عن كِتاب (شعراء السودان) ثم عن شعر بعض شعرائه الشبان ثم عن باقي فنون الأدب السوداني كالمغني والتمثيل والموسيقى وظنِّي أن هذا يتم في أربعة أجزاء وسأفرد جزءاً خامساً للكلام عن محاسن الشعر وعيوبه حسبما اقتضاه منطق المتقدمين)).[١]

لكننا لم نرَ منه إلّا ما كتبه عن الشعر عموماً والشعر في السودان ونقد بعض شعراء السودان ونقده لكتاب سعد ميخائيل (شعراء السودان).

وفي عام ١٩٣١م. أصدر حمزة ديوان شعري باسم (ديوان الطبيعة). يقول الأستاذ عز الدين الأمين: ((وعندما كان في مركز بارا سابقاً نشر ديوانه (ديوان الطبيعة). جزء أول وكان صدور هذا الديوان في ذي القعدة ١٣٤٩هـ-أبريل ١٩٣١م)).[٢]

وقد أراد حمزة أن يكون هناك جزء ثانٍ لديوان الطبيعة. يقول الأستاذ محمد إبراهيم الشوش: ((وقد وعد بجزء ثانٍ لم يرَ النور)).[٣]

كما كان لحمزة ديوان شعري لم ينشره لأنه لا يتماشى مع ميوله ورغباته التي رسمها للأدب السوداني. حيث يقول: ((كان لي ديوان قبلَ هذا الديوان نظمته شاعراً مقلداً بدافع شعوري الخفي بجمال الشعر ثم حذفته جملة لخلوه من التجديد غير أني نشرت بعضاً من قصائده في أول هذا الديوان للذكرى فقط)).[٤]

لم يقتصرْ حمزة في الكتابة والتأليف على الأدب فحسب بل أتجه في آخر حياته إلى السياسة وكان ساخطاً على الإنجليز وسياستهم في السودان، وقد بيّن مساوئ سياستهم. يقول الأستاذ عز الدين الأمين: ((وبعد أن ترك حمزة العمل بالسودان وانتقل

---

[١] الأدب السوداني ومايجب أن يكون عليه ط٣،حمزة الملك طمبل، ص٢٧.
[٢] نقد الشعر في السودان، عز الدين الأمين، ص٩٠.
[٣] الأدب السوداني ومايجب أن يكون عليه ط٣، حمزة الملك طمبل، ص٨.
[٤] ديوان الطبيعة، حمزة الملك طمبل ط٣، شرح و تقديم محمد إبراهيم الشوش، نشر الأمانة العامة للخرطوم عاصمة الثقافة،اشرف على طباعته الدار السودانية للكتب الخرطوم مع دار الفكر ــ بيروت لبنان سنة ١٩٧٢م، ص ١٢٨.

إلى أسوان أعدّ هناك كتاباً يحمل فيه على الحكم الاستعماري في السودان وجعل عنوانه (الإنجليز في السودان) وكان الكتابُ من عشرة أجزاء ولكنه لم يتمكن إلّا من طبع الجزء الأول منه فقط عام ١٩٤٨م. وكان بعنوان صمؤيل بيكر في خط الاستواء)).[١]

رغم ما كان يرمي إليه حمزة في التأليف ألا أنه لم يصل إلينا إلا هذا النزر من أعماله التي صرح بها. لكنَّ هذه الأعمال لها أثرها في الأدب السوداني الحديث خصوصاً النقد. يقول عنه الأستاذ العقاد: ((لو واصل حمزة جهوده وقراءاته في مجال النقد لأصبح له شأن في مجال النقد العربي على نطاق الوطن العربي)).[٢]

---

[١] نقد الشعر في السودان، عز الدين الأمين، ص٩٠.

[٢] الأدب السوداني ومايجب أن يكون عليه، ط٣،حمزة الملك طمبل، ص٦.

الفصل الثالث: مميزات شعر طمبل، وآراؤه النقدية.

المبحث الأول: مميزات شعر طمبل في(ديوان الطبيعة).

المبحث الثاني: نشأة النقد في السودان وآراء طمبل النقدية.

المبحث الثالث: نقد طمبل لكِتاب (شعراء السودان).

المبحث الرابع: آراء طمبل النقدية بين النظرية والتطبيق.

المبحث الأول

مميزات شعر طمبل في(ديوان الطبيعة):

ديوان الطبيعة

كرّس حمزة خمسة عشر عاماً من حياتِه في إصدارِ ديوان الطبيعةِ، في خوض هذه التجربة الجديدة في الشعرِ السوداني الذي امتازَ بالتقليدِ. يقول حمزة: ((فأنا أعيشُ بهذا الديوان في فترة مضت، ابتدأتُ بابتداءِ سنة ١٩١٦م. وانتهتْ بانتهاءِ عام ١٩٣٠م. هذا على الرغمِ من أنّي أعيشُ الآن في سنة ١٩٣١م)).[١]

لم يَنشرْ حمزة من قصائدِ الديوانِ من قبل لا في المجلات ولا الصحف. وإنما أراد أن يظهرَ الديوانُ دفعة واحدة للساحة الأدبية.[٢]

كان حمزة يبغي في ديوانِ الطبيعةِ أن يكون برهاناً لمقالاته التي نشرها في عام ١٩٢٧م. على صفحات جريدة حضارة السودان. ومثّل فيه المذهب الرومانتيكي الثائر على التقليدِ. يقول محمد إبراهيم الشوش: ((إن طنبل كان يدركُ أنه مقبلٌ على تجربةٍ جديدةٍ في الأدبِ يحتاجُ لأن يهيّء لها الجمهور الأدبي الذي كان منغسماً في ذلك الحين في شعرٍ خطابي تقليدي)).[٣]

كان ديوانُ الطبيعةِ لحمزة الملك طمبل فريداً في زمانِه، غير مألوف عند شعراءِ وأدباءِ عصرهِ. يقول عبد المنعم عجب الفيّا: ((صدرَ ديوانُ الطبيعةِ سنة١٩٣١م. وكان جديداً في الشكلِ والمواضيعِ والمضامينَ وفيه خروج على ما كان سائداً من شعرٍ)).[٤] يضمُّ ديوانُ الطبيعةِ سبع وخمسين قصيدة[٥] يصور فيها الشاعر أحاسيسَه وينقل إلينا

---

[١] ديوان الطبيعة ، ط٢، حمزة الملك طمبل، ص١٢٧.
[٢] انظر الأدب السوداني وما يجب أن يكون عليه، ط٣، حمزة الملك طمبل، ص٨.
[٣] المصدر نفسه، ص٩.
[٤] في الأدب السوداني الحديث، عبد المنعم عجب الفيا، ص٢٨.
[٥] انظر الأدب السوداني وما يجب أن يكون عليه، ط٢، حمزة الملك طمبل، محتوى الكتاب.

بخيالِه الخصب الفكر والعِبر والغاية المطلوبة من التجديد في الشعر.

مميزات شعره:

يصّورُ الشاعرُ في ديوانِه العالم الخارجي من أعماقِ نفسِه. وهذا ما أكده الأستاذ عبد المنعم عجب الفيّا قائلاً: ((يصفُ الشاعرُ بالمقدمةِ شعر الديوانِ أنه مجموعةُ صورٍ لا قصائد، تدل على إقفارِ- عالم نفسي - من الجمال، وهذه النظرة للشعر بوصفهِ، صورة لنفسِ الشاعرِ ورؤيته للعالم، هي روحُ وجوهرُ التجربة الرومانتيكية)). [١]

تميّز شعر طمبل بعناوين قصائده التي لم تكن مألوفه لشعراء عصره كقصيدة شيخوخة شجرة، في جوف الليل، الودع، الأمتزاج الروحي، جهلو.[٢]

والشاعرُ في الديوانِ يمتزجُ بالطبيعةِ والعالمِ الخارجي امتزاج الروحِ بالجسدِ. ففي قصيدة (شيخوخة شجرة) يحلُّ الشاعر محلها وينزل منزلتها، يستقصي العبر منها.[٣]حيث يجعل الشاعر من الشيء المألوف غير مألوف بخيالِه الواسع.[٤]

قائلاً: مجزوء الكامل

ذهب الشباب فاطرقت إطراق شيخ يائسِ
قد ودع الدنـــيا و مـا فيها بوجه عابـسِ
صمتت وربت صامت يسديك وعظ الناسِ
كانت يشوق جمـالــها عين الغزال الآنسِ
وهي التي ستصـير يو ماً ما وقود القابسِ.[٥]

يعلق الشوش قائلاً: ((أيحس الشاعر بمرور حقبات شبابه وهرمه وأنه كان قبله الشوق والهيام...وربما يصبح في غدٍ ناراً للأخرين تهديم الوقود والدفء)).[٦]

---

[١] في الأدب السوداني الحديث، عبد المنعم عجب الفيا، ص٢٨.
[٢] ديوان الطبيعة، ط٢، حمزة الملك طمبل ، ص١٢٣.
[٣] انظر الأدب السوداني وما يجب أن يكون عليه ط٣، حمزة الملك طمبل، ص١٥.
[٤] انظر في الأدب السوداني الحديث، عبد المنعم عجب الفيا، ص٢٩.
[٥] ديوان الطبيعة، حمزة الملك طمبل، ط٢، ص١٦٦، ١٦٧.
[٦] انظر الأدب السوداني وما يجب أن يكون عليه، ط٣، حمزة الملك طمبل، ص١٥.

اتسمَ شعرُ طمبل بالطابعِ الصـوفي، والصوفية مظهرٌ من مظاهر أغلب الشعر السوداني.[١] ففي قصيدة (الحاوي) تظهرُ النزعةُ الصوفية لديه. يقول فيها:

قد رأيتُ المحالَ رأي عيانٍ ليس في حاجةٍ إلى برهانٍ

رجلٌ كالرجالِ جاءَ بما يعـــــــــجزُعن فعلِه بنـو الإنســانِ

يأمرُ الماءَ بالوقوفِ فينصا عَ وإن شاءَ لجَّ في الجريـانِ

يضع الشيء في يديك فتلقا ه على الرغمِ منكَ في يدٍ ثانٍ.[٢]

يقول محمد إبراهيم الشوش: ((والشاعرُ يرسمُ لنا الجزيئات في انبهارِ طفلٍ هذه الطفولةُ والتصديقُ المطواعِ هو التساؤلُ الفطري التساؤلُ الذي ينبني على قبولِ ما تراه العينُ وما يطربُ له الحسُّ، ومع ذلك ينفرُ العقلُ المثقفُ)).[٣]

ثم تظهر النزع الصوفية عند حمزة بالعودة إلى رشده وعقله، يقول حمزة في آخر بيتين:

أيها الملحدون هذي أمور من صنع الجهال و الغلمان.

عللـوها فإن قدرتم فقولوا أنه لا إلـــه للأكـــــــوان.[٤]

استطاع حمزة التجديد في الشعر وربطه بالطابع الصوفي. يقول عبد الهادي الصديق: ((ألا أن الصوفية الفنية تصل عند حمزة الملك طنبل درجة عالية من الأداء التجديدي)).[٥]

مثل حمزة المذهب الرومانتيكي في السودان ويظهر ذلك الطابع في شعرِه من خلالِ تعلّقه بالطبيعةِ وصنع الله سبحانه وتعالى. والهروب من صنعِ البشرِ الذي هو إلى الزوالِ لا محالة.[٦]ففي قصيدته(بين الله والطبيعة) يصف الشاعر لنا جنينة مـن

---

[١] انظر في الأدب السوداني الحديث، عبد المنعم عجب الفيا، ص٢٩.
[٢] ديوان الطبيعة، ط٢، حمزة الملك طمبل، ص١٥٢.
[٣] الأدب السوداني وما يجب أن يكون عليه، ط٣، حمزة الملك طمبل، ص١٦.
[٤] ديوان الطبيعة، ط٢، حمزة الملك طمبل، ص١٥٣.
[٥] أصول الشعر السوداني، عبد الهادي صديق، نشر دار جامعة الخرطوم، ط٢، سنه ١٩٨٩م، ص ١٠١.
[٦] انظر في الأدب السوداني الحديث، عبد المنعم عجب الفيا، ص٢٩.

صنع البشر تعجب الشاعر لكنه يضجر منها لأنها لا تمثل الخلود والبقاء والحياة الدائمة. فيقول حمزة:

نما على أرضها الشجرُ وقد جرى تحتها النهر
وشيـدتْ حولـها بيـوت بها إله الـورى ذُكـــر
ترى بها التين وهو غضٌ وفـوقـه حيـة ذكـــر.[١]

ثم بعد هذا الوصف الجميل يظهرُ الملُ و السأمُ على الشاعرِ فيقول :

لا تبـــلغُ من مـــداها ماتبلـــغُ النفـسُ والفـكر
سئمت مكثي بها فهـلْ أسلمُ في الخلدِ من ضجر.[٢]

إن أكثر قصائد الشاعر جاءت على أوزان البحور المجزوءة كمجزوء الكامل والرمل، والمضارع وغيرها. [٣]

تميزت موسيقى الشعر لدى حمزة بأنها قريبة من النغم الشعبي رغم فصاحة الكلمات. وهذا ما يأكده محمد إبراهيم الشوش قائلاً: ((حاول (حمزة) التوفيق بين النغم التقليدي للعروض والنغم الشعبي ومجاراة النحو مع الخضوع للتركيب العامي. وطمبل متأثر بالأوزان الشعبية (الدوبيت) والوزن العربي التقليدي. وهذه الأوزان المحلية تتجاهل النحو، فتقف بالسكون على كل كلمة وعلى كل قافية وهي لذلك لا تتبع العروض التقليدي، ولا تتبع أيضاً الأوزان الشعبية لحرصها على فصاحة الكلمة العربية و مجارتها ما أمكن لذلك)).[٤] مثل قوله: مجزوء الكامل

ذهبَ الوفاء فلا ندامه مني عليك ولا ملامه.[٥]

يقول محمد إبراهيم الشوش: ((قارنه بهذا الوزن المحلي)).[٦]

---

[١] ديوان الطبيعة ط٢، حمزة الملك طمبل، ص١٦٢.
[٢] المصدر نفسه، ص١٦٤.
[٣] الأدب السوداني وما يجب أن يكون عليه، ط٣،حمزة الملك طمبل، ص١٩.
[٤] المصدر نفسه ط٣، ص٢٠.
[٥] ديوان الطبيعة، ط٢، حمزة الملك طمبل، ص١٩٢.
[٦] الأدب السوداني وما يجب أن يكون عليه، ط٣، حمزة الملك طمبل، ص٢٠.

ياحمامـــــة مع السلامه ظللتْ جوك الغمامـــــه.[١]

وكذلك قوله في قصيدة (ياليتها).يقول فيها:

الصبرُ أصبح درعه بالي مذ أشغلتْ بجمالِها بالي.[٢]

يقول الشوش: ((قارنه بهذا النغم المحلي)).[٣]

أندب حظـــــي أم أمالـي دهري قصدني مالو ومالي.[٤]

إنّ ما يميز ديوان الطبيعة قصر قصائده. وقد أكسبها الشاعر نوعا من التلاحم بين الموسيقى و وحدة الفكرة .يقول محمد إبراهيم الشوش: ((يطبع شعر حمزة طمبل أن قصائده مقطوعات قصيرة من هنا تتمتع بوحدة جميلة فالحالة النفسية مفردة، والاتجاه الفكري يجري خلال السياق ليفضي إلى موقفه الأساسي. وهو رفض الصورة الناجزة للوجود)). [٥] كما في قصيدته بعنوان (طلل) يقول حمزة:

مطرق مثل من أقام لإفشا ء حديث وعاقه الخجلُ. [٦]

يقول محمد إبراهيم الشوش: ((إن مصراعي البيت يلتحمان في نفس نثري لايمحو جمال الشعر)).[٧]إن موضوع الطلل الذي اختاره حمزة هو موضوع رمزي يُشير من خلاله إلى تعاقب الأجيال على هذا القصر.[٨]يقول حمزة في أول قصيدته:

أدامك الله يا أيها الطلل وفدتك القلوب والمقـــــلُ

أنت آثـارُ دولـةٍ ذهبتْ وملوكٍ إلى الثرى رحــلوا

لكل حيّ من العباد مقا م قصيرُ المدى ومرتحلُ.[٩]

---

[١] القصيدة للشاعر عبد الرحمن الريح، كتبها للفنانة فاتن حمامة، في أول فيلم لها وقد عرض في السودان، وسماها رسالة من الخرطوم إلى القاهرة، انظر الشبكة العنكبوتية، Google قصيدة ياحمامة مع السلامة، حكاية قصيدة يا حمامة مع السلامة، موسوعة التوثيق الشامل.

[٢] ديوان الطبيعة، ط٢، حمزة الملك طمبل، ص١٣٢.

[٣] الأدب السوداني وما يجب أن يكون عليه، ط٣، ص٢٠.

[٤] البيت للشاعر أحمد حسين العمرابي. انظر الشبكة العنكبوتية ،Google، قصيدة أندب حظي ام أمالي .

[٥] الأدب السوداني وما يجب ان يكون عليه، ط٣، حمزة الملك طمبل، ص١٣.

[٦] ديوان الطبيعة ،ط٢، حمزة الملك طمبل، ص ١٧١.

[٧] الأدب السوداني وما يجب ان يكون عليه، ط٣، حمزة الملك طمبل، ص١٣.

[٨] االمصدر نفسه، ط٣، ص١٢.

[٩] ديوان الطبيعة ،ط٢، حمزة الملك طمبل، ص ١٧٠.

فالشعور بالموت واضح من خلال أبيات القصيدة، وهذا طابع الصوفية التي نلمحها في شعر طمبل. ويقول في القصيدة نفسها:

خاشـع أن تراه تحسبه من خشيةِ الله حفّـه وجلُ
قد وفاه الإله ضرر النـ ـهر فما حفّ سوره البـللُ
من ذراه الطيرُ تخشعُ مـن تسبيحِ حيتانه فتبتهـــلُ.[١]

يقول محمد إبراهيم الشوش: ((انسياب الجرس في نعومة يضفي هالة من الابتهال على نفس شعره وترديده كلمات التسبيح والخشوع يكسب القصيدة جواً من الرهبة. هذه الصوفية نجدها كثيراً في ثنايا شعر طمبل)).[٢]

ثم في البيت الأخير يصور حمزة الحياة كما وصفها شكسبير بأنها مسرح يؤدي عليه الأدوار ثم يعم الظلام، ويأتي الموت لا محال شئت أم أبيتَ. فيقول:

نحن في عالمٍ كمسرحِ تمثـــيل أرى ستره سينسدِلُ.[٣]

مما يميز شعر طمبل هو انتشار الشعور بالموت والفناء في ثنايا قصائده. وهو إدراك حقيقي لمعنى الوجود، ليس إدراكاً يشعر القارئ بأنه متشائم من حياته أو يدل على السأم منها. وهذا هو روح الرومانتيكية لأن الشعور بالموت هو الشعور بالحياة. يقول محمد إبراهيم الشوش: ((ربما كان متأثراً في ذلك بالمعري الذي صحبه معجباً به طول حياته)).[٤]يقول حمزة في قصيدته:

عَبرةٌ وعِبرة

ليـــس كالموتِ فارقٌ أبداً بين هزلِ الحياةِ والجـــدِ
إنما الكونُ كالرياضِ وما فيه من عالمين كالـوردِ
كلـــــما أينعت أزاهـره قطفتها المنون عن عَمْدٍ.[٥]

---

[١] ديوان الطبيعة ط٢، حمزة الملك طمبل، ص١٧١.
[٢] الأدب السوداني وما يجب ان يكون عليه ، ط٣، حمزة الملك طمبل، ص١٤.
[٣] ديوان الطبيعة، حمزة الملك طمبل، ط٢، ص١٧١.
[٤] الأدب السوداني وما يجب ان يكون عليه، ط٣، حمزة الملك طمبل، ص١٠ـ ١١.
[٥] ديوان الطبيعة، ط٢، حمزة الملك طمبل، ص١٤٦.

يصور الشاعر العالم بالحدائقِ الواسعةِ والورود خلال تفتحها وإزهارها حتى يأتيه الموت من عمدٍ فلا جدوى للعيش يقول محمد إبراهيم الشوش: ((أترى كانت في حافظته أبيات المعري؟)):[١] الخفيف

ضجعت الموت رقدة يستريح الجسم فيها والعيش مثل السهادِ.[٢]

ثم يقول حمزة في القصيدة ذاتها حكمة:

هي دنياك أنت تعشقها وهي مجبولة على الصدِ

ليس يجدي بلوغ غايتها إنما الزهدُ والتقى يجدي.[٣]

وهذه الحكمة قريبة من قول المتنبي وأن اختلف درجة الشعر بينهما[٤]

يقول المتنبي: الوافر

ومن لم يعشقِ الدنيا قديماً ولكن لا سبيل إلى الوصالِ.[٥]

يقول حمزة في آخر بيت من قصيدته عِبرة وعَبرة:

حسبنا والمنون تصرعنا إن هذا الوجود للفقدِ.[٦]

استعار طمبل لفظة الفقد للوجود وهي استعارة مكنية[٧]يقول محمد إبراهيم الشوش: ((استعار اللفظة الأخيرة الفقد للتدليل على مظهر رومانتيكي أصيل يميز شعر طمبل، فالإحساس بالفقد هو الإحساس بالزمن وأثره، ويرتبط به أبدا الحنين إلى مجد

---

[١] الأدب السوداني وما يجب ان يكون عليه، ط٣، حمزة الملك طمبل، ص١١.

[٢] انظر سقط الزند لأبي العلاء المعري، نشر دار بيروت و دار صادر للطباعة و النشر و التوزيع، سنه ١٣٧٦هـ ـ ١٩٥٧م، ص٨.

[٣] ديوان الطبيعة ط٢، حمزة الملك طمبل، ص ١٤٦.

[٤] انظر الأدب السوداني وما يجب ان يكون عليه، ط٣، حمزة الملك طمبل، ص١١.

[٥] ديوان أبي الطيب المتنبي، شرح العلامة اللغوي عبد الرحمن البرقوقي،تحقيق الدكتور محمد فاروق الطباع، نشر شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم،بيروت لبنان، ج٢، ص١٠٢.

[٦] ديوان الطبيعة ط٢، حمزة الملك طمبل، ص ١٤٧.

[٧] الأستعارة المكنية: ((قد يضمر التشبيه في النفس فلا يصرح بشئ من أركانه سوى لفظ المشبه ، و يدل عليه بأن يثبت للمشبه أمر مختص بالمشبه به، من غير أن يكون هناك أمر ثابت حساً أو عقلاً أجري عليه اسم ذلك الأمر فيسمى بالتشبيه استعارة بالكناية أومكنياً عنها)).الإيضاح في علوم البلاغة، المعاني و البيان و البديع، الخطيب القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، سنه ١٩٧١م، ص ٢٣٤.

أول وبراءة أولى.وموضوع الفقد الذي نجده في قصيدة الطلل هو قصر أحد ملوك أرقو. ولكنه يرمز إلى معنى عميق في نفس الشاعر فالطلل هنا هو المجد الغابر والموضوع هو التأمل في الزمن الضائع)).[١]

تميز شعره بمخالفة اللغة العربية، وهذه المخالفه كانت متعمدة منه. حيث يقول الشاعر: ((لقد خالفتُ في هذا الديوان بعض أصولِ اللغةِ مخالفة طفيفة متعمدةً، وذلك بالوقوف على المفعولِ وغيره من الكلماتِ الموضوعة بين قوسين تمشياً مع أصلِ اللهجةِ والوزن)).[٢] ومن الأخطاء اللغوية في شعره قوله:

وغرب كوخي وادي نما عليه السيال. [٣]

والأصل أن يقول وادٍ لأنه منقوص، والأسم المنقوص تحذف ياء أن كان مجرداً من(ال) في حالتي الرفع والجر وتثبت في حالة النصب، وجاء (وادي) هنا خبر للمبتدأ.[٤]

ومن وقوفه على الفاعل قوله في قصيدة (في جوف الليل):

مولايَ قد نامت عيونْ وتيقظتْ أيضاً عيونْ.[٥]

والأصل أن تكون لفظة عيون مرفوعة لانها فاعل، وسكنت للضرورة الشعرية.

إن شعره يتميز بانتشار الألفاظ العامية السودانية، وكذلك التركيب العامي للبيت الشعري يقول حمزة: رثاء العمدة نجار بك محمد داود

فقدَنا بفقدانِه سيداً لخدمِة أوطانِه شمرا.[٦]

يقول محمد إبراهيم الشوش: ((فهذا العجز في البيت من التركيبِ العامي في أوزان أغاني الدف والدوبيت عامة)).[٧]

وكذلك تظهر الألفاظ العامية السودانية في قصيدته التي يقول فيها:

---

[١] الأدب السوداني وما يجب ان يكون عليه، ط٣، حمزة الملك طمبل، ص١١، ١٢.
[٢] ديوان الطبيعة ط٣، حمزة الملك طمبل ، ص١٢٨.
[٣] المصدر نفسه ط٢، ص٢١٢.
[٤] انظر جامع الدروس العربية، مصطفى بن محمد سليم الغلاييني، الناشرالمكتبة العصرية، صيدا، بيروت لبنان، ط٢٨، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م، ج١، ص١٠٧.
[٥] ديوان الطبيعة، ط٢، حمزة الملك طمبل، ص١٩٠.
[٦] المصدر نفسه ، ص١٥٠.
[٧] الأدب السوداني وما يجب ان يكون عليه ط٣، حمزة الملك طمبل، ص٢٠.

و(عوير) يدعي العلمَ ولكـ نه في علمه كالببغاءِ. [١]

فكلمة عوير في العامية السودانية تعني الأبله.[*]

وفي قصيدة ذهب الوفاء يستعمل الشاعر ألفاظاً أعجمية حيث يقول:

وكذا(الأفندي) قد أبا حَ لكلِّ موبقةٍ زمامهْ. [٢]

فلفظة الأفندي أعجمية: ((وهي كلمة تركية أصلها يوناني، كانت تستعمل لقباً لأصحاب الوظائف المدنية والدينية ورجال الشريعة والعلماء شاعت في مصر منذ حكم الأتراك ثم أُلغيت)).[٣]

تميزت قصائد حمزة بالمفارقة paradox أي أنه يتعجب بظاهرة فيصفها أجمل الوصف وأروع الكلمات ثم في آخر القصيدة ينفر منها ويعود إلى العقل أوشيء حقيقي أسما مما تراه العين وتعجب به النفس. كقصيدة بين الله والطبيعة، والودع. ففي مقدمة قصيدة الحاوى يظهر التعجب على الشاعر انظر الصفحة(٥٧) وتاتي المفارقة في قوله: زعمـــوا أنه الخداعَ ولكــن كيفَ في الشيءِ تخطئُ العينانِ

وهي ملكي وكيفَ يخدعُ لبّي وشعوري وفطنـتي وجنانـــي؟![٤]

فهنا تظهر المفارقة عند الشاعر بعد أن أبدى تعجبه من عمل الساحر وخداع أبصار الناس من حوله فيعود إلى رشده و عقله.

مما يميز شعر طمبل التضمين[٥] و الأقتباس من للآيات القرانية والحديث النبوي الشريف والأمثال السودانية ففي قصيدته(سأم قاتل)يظهر الأقتباس من القرآن في قوله:

إن شرَّ الدوابِ من لايفهـــمُ والذي لا يرى الأصمُ الأبكم. [٦]

---

[١] ديوان الطبيعة، ط٢، حمزة الملك طمبل، ص١٥٦.

[*] انظر المصدر نفسه، ط٢، ص١٥٦.

[٢] المصدر نفسه، ط٢، ص١٩٢ .

[٣] انظر الشبكة العنكبوتية، معجم المعاني الجامع عربي عربي، معنى أفندي، Google.

[٤] ديوان الطبيعة،ط٢، حمزة الملك طمبل، ص١٥٣.

[٥] التضمين: ((أن يؤخذ معنى الآية و الخبر فيكسى لفظاً غير لفظه)). انظر المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، ضياء الدين نصر الله بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم (ابن الأثير)، تحقيق الشيخ كامل محمد عويضة، نشر محمد علي بيضوني دار الكتب العلمة، لبنان بيروت، ج١، ص ١٣٤.

[٦] ديوان الطبيعة، ط٢، حمزة الملك طمبل، ص٢١٥.

والآية القرآنية تقول: ((إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ)).[١]

وأيضاً يظهر الأقتباس من القرآن في شعره بقصيدة (صبرتُ). حيث يقول حمزة:

وهبنـــــي نبياً لهم مرسلاً فهل يسمع الصمُ مني الدعاءَ؟![٢]

جاء في قوله تعالى: ((إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ)).[٣]

أما الحديث النبوي الشريف فيظهر الأقتباس منه في قصيدته (إلى النفس). يقول فيها حمزة: الطويل

ألا أنتِ شرٌّ بينَ جنبيَّ وليكنْ مصيرك للحتفِ المروعِ بكرة.[٤]

فقد أخذ المعنى من الحديث النبوي الشريف، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

((أَعْدَى عَدُوِّكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ)).[٥]

كما ضمّن شعره الأمثال السودانية وغير السودانية والحكايات الشعبية التي كانت مشهورة في عصره. وهي منتشرة في شعره ونلمسها في قصائده. فمن تضمينه للأمثال السودانية العامية. يقول في قصيدته جبل في سهول كردفان:

تزيله كثرة المراود لو كان هذا الجماد أثمدْ.[٦]

فهنا يظهر المثل السوداني. يقول محمد إبراهيم الشوش: ((المثل العامي يقول جبال الكحل تفنيها المراود)).[٧] يضرب هذا المثل في فناء الأشياء و أن كانت كثيرة.[٨]و من الأمثال الأخرى التي جاءت في شعر طنبل. يقول في قصيدة:

فلقدْ قيلَ حلالٌ و حرام وجنات قدْ أعدّتْ وضرام

---

[١] سورة الأنفال، الآية ٢٢.
[٢] ديوان الطبيعة، ط٢، حمزة الملك طمبل، ص١٩٥.
[٣] سورة النمل، الآية ٨٠.
[٤] ديوان الطبيعة ،ط٢، حمزة الملك طمبل، ص١٧٨.
[٥] آداب الصحبة، محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، تحقيق مجدي فتحي السيد،نشر دار الصحابة للتراث، طنطا مصر، ط١، سنة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ج١، ص ٧٦ رقم الحديث ٦٨.
[٦] ديوان الطبيعة ،ط٢، حمزة الملك طمبل، ص٢١١.
[٧] المصدر نفسه، ص٢١١.
[٨] انظر موسوعة الامثال الشعبية في الوطن العربي، إعداد محمد الراوي، دار اسامة للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، ط ١، سنة٢٠٠٠م، ص٢٤١.

و يلذُ الموتُ إنْ أدنى المرامُ أصدقونا أيها الناسُ الكلام

أو هل باحَ بما لقِى عِصام؟.[١]

يقول الشوش: ((عصام صاحبة المثل المشهور، ما وراءكِ يا عِصام؟)).[٢] وأول من قال هذا المثل هو الحارث بن عمرو ملك كِندة لامرأة اسمها عِصام .[٣]

كذلك ضمّن شعره بعض الحكايات السودانية والتي كانت مشهورة في عصره كما في قصيدة (كلب الحمار) يقول حمزة:

من طريف الآثار و الأخبار أن كلبـــاً متيَّـــمٌ بحمـــــار!

كم فتى أكبرته أعين غيري هو عندي كمثل (كلب الحمار).[٤]

يقول الشوش: ((ليس بين موظفي مركز سنار في سنة ١٩٢٥م. من يجهل قصة هذا الكلب والحمار وقد كان مُلكاً لحضرة اليوزباشي عثمان أفندي علي كيله مأمور المركز المذكور)).[٥]

رَكَزَ حمزة على روحِ الشعر في ديوانِ الطبيعة وأهملَ اللغة بعض الشئ والأوزان الشعرية. فقد نجد اختلاط الأوزان و البحور في القصيدة الواحدة. هذا ما أكده محجوب عمر باشري يقول: ((هناك خاصية في شعر حمزة الملك طمبل هي إيقاع الكلمات الذي يؤكد الإيقاع الباطني للموسيقى، فالتناغم ليس أصلاً في نظم حمزة الملك طمبل و لكنه اللفظة الصوتية المندمجة بالإحساس لذلك قد تختلط الأبحر والأوزان في شعر حمزة الملك طمبل)).[٦]ومثال على ذلك نأخذ قصدته (شيخوخة شجرة). يقول في البيت العاشر: مجزوء الكامل

---

[١] ديوان الطبيعة ،ط٢، حمزة الملك طمبل، ص١٨٧، ١٨٨.

[٢] ديوان الطبيعة ، ط٢، حمزة الملك طمبل، ص١٨٨.

[٣] انظر مجمع الأمثال، لأبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني، تقديم نعيم حسين زرزور، نشر محمد علي بيضوني دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ج٢، ص٣٠٩ رقم المثل ٣٧٥٩.

[٤] ديوان الطبيعة ،ط٢، حمزة الملك طمبل ، ص١٦٩.

[٥] المصدر نفسه، ص١٦٨.

[٦] رواد الفكر السوداني، محجوب عمر باشري، ص١٥٥.

فإذا هــزز تَ به رَمتْ بعقـاربٍ و خنــافسٍ.[١]

مُتَفاْعِـلنْ مُتــفَاْعِـلنْ مُتَفاْعِـــلنْ مُـــتَفَاْعِلنْ

البيت سليم العروض صحيحة و الضرب أيضاً. و في مطلع القصيدة يقول حمزة:

ذَهَبَ الشبا بُ فــاطــرَقتْ إطـرَاْ قَ شيـــــخٍ يـــأئـــسٍ.[٢]

مُتَـــفَاعِلنْ مُتَـــــــفاْعِلنْ مُتْـــفاْعِـــلنْ مُتْـــفاعِـلنْ

فالعروض جاءت صحيحة و الضرب هنا جاء مضمر[٣] خلافاً للضرب في البيت السابق.

وفي البيت الرابع عشر يقول حمزة :

فالريــحُ إنْ هـبّتْ تمــ رّبـها كمـــــرّ الـــهاجـسِ.[٤]

متـْـفاْعِــلنْ مُتْـفاْعِلنْ مُتَـفاْعِـــــلنْ مُتـْـفاْعِــلنْ

وهنا أصابَ الإضمارُ العروض و الضرب على السواءِ كلّ هذا في القصيدة الواحدة. إلا أن هذا لا ينقص من شأن شعره هذا ما أكده محجوب عمر باشري. يقول: ((فالعرضيون يدركون بعض الخلل في شعر حمزة الملك طمبل، و لكن هذا لا ينقص من قيمته)).[٥]

أغراض شعره:

ومن الأغراض التي استعملها حمزة في شعره: الغزل، والمدح، والرثاء، والوصف، والهجاء وغيرها. وقد عبّر الشاعر عن هذه الأغراض من أعماق نفسه يقول محمد إبراهيم الشوش: ((والشاعرُ في هذا الديوان يصفُ، ويهجو، ويرثي، ويعاتبُ، ويتغزل ويستكشف لنا دخيلة نفسه وفكره وقلبه والعالم من حوله كل ذلك في جدة تبهرنا،

---

[١] ديوان الطبيعة، ط٢، حمزة الملك طمبل، ص١٦٦.

[٢] ديوان الطبيعة، ط٢، حمزة الملك طمبل، ص١٦٨.

[٣] الإضمار: ((هو تسكين الثاني المتحرك من التفعيلة)). انظر المستشار في العروض و موسيقى الشعر، محمد هيثم غرّة، نشر دار ابن كثير و دار الكلم الطيب، دمشق بيروت، ط١، سنة ١٤١٥هـ ـ١٩٩٥م، ص٣٤.

[٤] ديوان الطبيعة ، ط٢، حمزة الملك طمبل، ص١٦٦.

[٥] رواد الفكر السوداني، محجوب عمر باشري، ص١٥٥.

فالشعرُ هناْ ليس مجرد ألفاظ وأفكار قديمة تصاغُ من جديدٍ لكنه عملية جديدة يشتركُ الشاعرُ فيها بكلّ حواسِه)).[١] و من هذه الأغراض:

١- الوصف

تناول حمزة في قصائده وصف الطبيعة وبيئة السودان و وصفها وصفاً دقيقاً نابعاً من سهولة الألفاظ وانسجامها مع الموسيقى. فصوّر الطبيعة السودانية بكلِّ تفاصيلها على السواء الطبيعة الحيّة و الطبيعة الصامتة. ووصفه يتميز بالدقة في التصوير ونقل الصورة بألفاظ بسيطة سهلة مفهومة. يقول محجوب عمر باشري: ((حمزة الملك طمبل هو الذي عبد الطبيعة ووصف مناظرها ومشاهدها وصفها وصف العاشق الولهان)).[٢]ومن هذه القصائد بين الله والطبيعة، شيخوخة شجرة، جبل على الشاطيء، في جوف الليل، الغروب وغيرها. يقول حمزة في قصيدته (الغروب على شاطيء أرقو): الرمل

ذهب اليوم وقد آن الغروبْ واعترى الكون على الشمس الشحوبْ
زمر الطيـــر إلى أوكارهـا مسرعات من شمال وجنوبْ
كل شيء تبصر العين بـه ساكن في هيبة حتى الهبوبْ
تبصر النهر فتـلقى مـاءه حذراً في سيره مثل الهبـــوبْ
منظـــر ابدعـــه مبدعـه جامع من دولة الحسن ضروب
كلمّا أعملت فكرى لم أجد أبداً من ساحة العيش (هروبْ).[٣]

فالشاعر وصف الطبيعة من حوله متأثراً من أعماق نفسه الداخلية. والألفاظ التي تدل على الطبيعة، الغروب، الشمس، زمر الطير، شمال، جنوب، وجريان النهر وغيرها. وتظهر دقة وصفه وكأنّ المشهد شاخص أمامك من مغيب الشمس وهروب الطيور إلى أوكارها مسرعة على شكل مجاميع بعد أن اقترب الظلام.

---

[١] الأدب السوداني وما يجب ان يكون عليه، ط٣، حمزة الملك طمبل، ص١٠.
[٢] انظر رواد الفكر السوداني، محجوب محمد باشري، ص١٥٥.
[٣] ديوان الطبيعة، ط٢، حمزة الملك طمبل، ص٢٠٤.

٢- الرثاء:

إن مراثي حمزة اتسمتْ بشدة الوجد على المرثي، حتى يتصور القارئ بضجره من هذا النظام الفاني. ففي كلمة أخ في موضوع الديوان يقول حمزة : ((ومراثيك بليغة مؤثّرة وقد يشتم منها بعض الناس عدم الرضاء عن هذا النظام الإلهي الذي استوجب ظلام العدم بعد نور الحياة، ولكني على يقين من حسن يقينك وأعتقد أن الحيرة وفرط الحسرة هو الذي جمح بك إلى هذا الجانب)).[١]ومن قصائده في الرثاء. رثاء العمدة نجار بك محمد داود، ورثاء شابة، ورثاء الشاب الأديب عثمان أفندي محمد حسين، وعلى قبر الملك طنبل. يقول حمزة في رثاء والده:

أيها الراقد أهديك السلامْ بخشوعٍ وانكسارِ واحتـرامْ

من سويداء فؤاد في اضطرامْ يتلظى بدموعٍ في انسجامْ

منذ أدرجت وحيداً في الرغام

هذه الدنيا الخؤون كسرابْ إن مشى الصادي إليه للشرابْ

وجـــد الله فوفاه الحساب فاهنأ الآن بقـــربٍ وثـــــوابْ

غانماً أجر صلاة و صيام

كنتَ تقضي الليلَ والناس رقود بيـن ذكرٍ وركوعٍ وسجـــــود

عالمـــاً أنك بالتقــوى تســـودُ واثقاً من أن في الآخِرى الخلود

وكريم مثلك ليس يضام .[٢]

هنا نحس من الشاعر عدم الرضا بالفراق لشدة وجده فيقول:

هذه الروح من الجسدِ سراج فإذا راحتْ غدى كالرمسِ (داج)

---

[١] ديوان الطبيعة ، ط٢، حمزة الملك طمبل ، ص ١٢٤،١٢٥.

[٢] المصدر نفسه ، ص١٨٦.

والردى ليس لنا فيه علاج وهو قفر هائـج شـــرَّ هيـــــاج

ومصير الناسُ ظنٌّ وكلام(*).[١]

٣- الغزل:

امتاز شعره الغزلي بالحسي الحقيقي. يذكر ذلك محمد إبراهيم الشوش قائلاً: ((وفي شعر طمبل غزل حقيقي حسي، وهذه الحسية المفرطة توأم للشبق الروحي الذي نجده عند المتصوفه، لهذا فإن فهمنا للقصائد الغزلية على أنها مجرد اشتهاء جنسي لايؤدي إلى إدراكنا الحقيقي لها. هي أكثر من مجرد تجارب حب ومتعة أنها فرصة للإدراك)).[٢]ويظهر الغزل الحسي في قصيدته فرصة حيث يقول فيها:

ذاب قلبي عليه حين تدانـى بين عطفي مسلماً لي عرضـه

وقواماً يكاد يقصفُ رطبـاً طوله في الجمالِ ناسب عرضه

فاعتنقنا حتى إذا غلبَ الشو ق على الجسم كاد يفقد نبضـه

ثم يقول الشاعر:

فرصة لو تتيح لناسك قـوم لتناسى إلى القيامةِ فرضـه.[٣]

ومن قصائده الغزلية الحسية الدقيقة والصريحة نجدها في قصيدة (جهلو). يقول حمزة:

بعد أن طالَ في هواه صدودي سمحَ الحبُ لي بلثمِ الخـــدودِ

وتهاوى وقد تملكـــــه العـطـ ف على ساعدي بصدر وجيدِ

فَسَرتْ كهربا المحبّة في الجسـ مِ وقلبي غدا بغير حـــــدودِ.[٤]

يمزج حمزة بين الطابع الصوفي والرومانسية في شعره كما في قصيدته(الامتزاج الروحي) يقول:

أحـــنُ إذا ابتعدت لحظــة وإن غبتُ عن عينِها حنتِ

(*) (المقصود أن مصير الناس إلى الجنة أو النار خبر لا عيان)).انظر ديوان الطبيعة ، ط٢، حمزة الملك طمبل، ص١٨٨.

[١] المصدر نفسه، ص ١٨٨.

[٢] الأدب السوداني وما يجب ان يكون عليه، ط٣، حمزة الملك طمبل، ص١٧.

[٣] ديوان الطبيعة ط٢، حمزة الملك طمبل، ص١٦٧.

[٤] المصدر نفسه، ص١٧٦.

حنين النفوسِ إلى بعضِها وليس حنيناً إلى شهـــــــوةٍ

و واعجبي كيف يضحي السرو ر مزيجاً من الوجد و اللوعة

فيا من سكرتم بخمر الدنا ن هنا لك سكر بلا خمـــرة.[١]

يعلق محمد إبراهيم الشوش يقول: ((أليس هذا الوجد هو الوجد الصوفي؟!)).[٢]

٤-هجاءه:

إن هجاء حمزة اعتمد على السخرية اللاذعة والتصوير الكاريكاتيري للمهجو. يقول محجوب عمر باشري: ((لم ينتقد أحدٌ شعره في حياته لأنهم خافوا من هجائه الذي قام على التصوير الكاريكاتيري)).[٣]

بينما وجد الباحث رأياً آخر يقول: بأن السيد الفيل قد نقد شعره على صفحات جريدة الحضارة، في السنة نفسها التي نشر فيها ديوانه، وقد تناوله بسخرية وتهكم.[٤] ووجدت حسب إطلاعي أن جريدة الحضارة عند إغلاقها الباب بوجهه فتحته لغيره في مهاجمته. [٥]ويظهر هجاءه اللاذع في قصيدته بعنوان(في الدويم) لكن حمزة أراد من هذا الهجاء التنفيس عن نفسه وما أصابه من الحزن بسبب الإساءة إليه، فسطر هذه الأبيات قائلاً:

بلدة خاب بمن فيها الرجاءْ جمعتْ شملُ لئام سفهـــاءْ

ففتىً كالذئبِ في شكلِ امرىء باسم السن خداعاً وريـــاءْ

يُظهرُ الإخلاصُ للناس وما في طوايا نفسه غير الجفاءْ

حينما أظهـــر ما أضمـــره ورأى من جانبي شر جزاءْ.[٦]

---

[١] ديوان الطبيعة، ط٢، حمزة الملك طمبل، ص١٨٢.
[٢] الأدب السوداني وما يجب ان يكون عليه، ط٣، حمزة الملك طمبل ، ص١٩.
[٣] رواد الفكر السوداني، محجوب عمر باشري، ص١٥٥.
[٤] انظر نقد الشعر في السودان، عز الدين الأمين، ص٦٣.
[٥] انظر تطور الشعر العربي في السودان،بله عبد الله مدني، ج١، ص٢٢٠.
[٦] ديوان الطبيعة، ط٢، حمزة الملك طمبل، ص١٥٥.

لم يقصد حمزة الانتصار لنفسه أبداً.[١] وذلك من خلال قوله:

كربة في النفس قد فرجتها بكلامٍ فيه للنفسِ شفاءْ.[٢]

يقول حمزة في كلمة أخ في موضوع الديوان عن هذه القصيدة : ((وأنى للشاعر الأديب أن يسري عن نفسه بغير كظم غيظه أو سكب شعوره على الورق ولمن يتسنى له بثّ حزنه وهو يكاد يكون وحيداً بين هذه الأوساط الموبوءة)).[٣]

وفي قصيدة(ذهب الوفاء). يصبُّ الشاعرُ هجاءه على الأفندية والشيوخ بألفاظ فاضحة واستهزاء وسخرية حيث يقول:

ذَهَبَ الوفاءْ فلا ندامةْ منّي علــيك ولا ملامـــةْ

فالناس مثلك في الخدا ع وفي الرياء وفي الدمامةْ(*).[٤]

ينتقدُ حمزة في قصيدة الأوضاع الاجتماعية الفاسدة و السيئة و يصورُ حالةَ فقدان الثقة و انتشار الخداع و المكر بين الناس. ثم يقول:

لكنني منهم لنفس ي أسأل الله السلامـــةْ!

(فالشيخ) خزي فادح متستر تحت العمامـــهْ

نذل(تقفطن) بالنفا ق ولفَّ من جشع حزامهْ

ما هاْمَ بالتقوى ولكـ ن بالضلالِ أرى هيامـهْ.[٥]

فالشاعر يدعو الله مخلصاً له الدين أن ينجّيه و يسلمه من هذا الوباء المنتشر في المجتمع. ثم يكشف القناع عن عيوب المجتمع ليفضح أشخاص مرموقة في عيون الآخرين، فيصور الشيخ بالخزي والعار وقد اتخذ من الدين ستارا له، ويصفه بعديم الخلق حتى وصل إلى النذالة والنفاق، كما يصوره الشاعر بأن حزامه الذي يرتديه لا

---

[١] انظر ديوان الطبيعة، ط٢، حمزة الملك طمبل، ص١٢٥.
[٢] المصدر نفسه، ص١٥٩.
[٣] المصدر نفسه، ص١٢٥.
[*] الدمامة: قبح الوجه. انظر الشبكة العنكبوتية www.almaany.com معجم المعاني قاموس عربي عربي .
[٤] ديوان الطبيعة، ط٢، حمزة الملك طمبل، ص١٩٢.
[٥] المصدر نفسه، ص١٩٢.

للدين وإنما للجشع، ولا يتصف بصفات الشيوخ من الورع والتقوى والزهد بل يراه حمزة عشقه للضلالة وهائم بها. وهو يريد من هذا تصحيح حالة اجتماعية. ثم يقول:

وكذا (الأفندي) قد أبا ح لكـــلِّ موبقـــة زمامـــهْ.

فتـــراه مختـل النظا م نعى على المولى نظامه. [١]

وما قاله عن الشيخ يقوله على الأفندية أيضاً. ويصورهم بإطلاق جماح رغباتهم من غير عنان وفعل الموبقات بلا حياء أي الكبائر من المعاصي.

٥- المدح:

استعمل حمزة في مدحه ألفاظ سهله بسيطة واضحه في الثناء على ممدوحه، ومن هذه القصائد مدحه اللورد اللمبي بقصيدة عنوانها (استقبال) يقول فيها:

يا أجلُّ القوادِ في الحرب شرف فوق عين من البلاد و رأسِ

قلَّ من يذكر الحقائق منا وكذا الجهل والتعصب ينسي

فأسعدونا فقد شقينا بجهلٍ مطبق كالدجى وفقر و بؤسِ

واقيموا فنحن أحوج منكم ليدٍ تعمـرُ البـــــلاد و رأسِ

وادفعونا إلى الأمام فأنتم أقدرُ العالمين من غيرَ لبسِ.[٢]

فالشاعر يضفي أنواع المدح و الإطراء على ممدوحه ليظهر محاسن الممدوح. ثم يقول:

عشتَ يالورد للبلادِ و عاشتْ أمة متعتْ بأفخـم كرســـــي

و ليدم بيننا التعاونُ و الأخلا صُ و الودُ وهو أطيب غرسٍ

ثم لو تنطـــقُ البـــلادُ لقالتْ ألف شتان بين يومي و أمسي.[٣]

موضوعات شعره:

إن الموضوعات التي تناولها حمزة في شعره هي موضوعات اجتماعية كانت الغاية

---

[١] ديوان الطبيعة، ط٢، حمزة الملك طمبل ، ص١٩٢.

[٢] المصدر نفسه ، ص١٦٠، ١٦١.

[٣] المصدر نفسه، ص١٦١.

منها إصلاح المجتمع وإظهار عيوبه ومساوئه. ففي قصائده تراه يعالج عادات وتقاليد وخرافات ينبذها العقل السليم ومن هذه القصائد: الودع، سافرة، لقيط، في الدويم وغيرها. نموذج على ذلك يقول حمزة في قصيدة الودع:

أرت أم عباس[١]أعجوبة تضل كبيرة الحجي بالودعْ
وما أمُّ عباس إلا عجوز تقي بها نزعة للـــــودعْ
تبشـــرُني وعلى وجهِها بريق السرورِ بحظي لمـعْ.[٢]

يصف الشاعر هذه العجوز التي تقرأ الحظ أو المجهول بالخبيرة في فنها، وقد خبرته بمستقبله الزاهي الذي ينتظره وهي متفائلة.

ثم يدخلُ حمزة في جدالٍ مع هذه العجوز، وتُقسمُ له إذا لم يحصلْ ما رأته فلن تعودَ للودعِ ثانية. يقول:

وتحلف إن لم أنلْ ما ترى فليستْ تعود (لحط الودع)
تجادل إن أنــا جادلتـــها كمن هو في فنه قد بــرع.[٣]

إن الشاعر يراهن العجوز بأن لو حصل ما أخبرته يعطيها قطعة قماش؛ لكن الشاعر يخسرُ الرهانَ مع صاحبة الودعِ يقول:

نذرتُ لها شقة مؤمنـاً بأن الذي أخبرتْ لن(يقع)
ففازتْ بها رغم مطلي لها مطرزةٌ ليس فيها بقــعْ
فقدْ نبأتني بما لم يدرْ ببالي وهاهو حقاً وقعْ
فواعجبي كيف نبأتـها وديعاتــها بأمور تقــعْ![٤]

وبعد هذا التعجب والاستغراب الذي حصلَ من الشاعرِ، تأتي المفارقةُ ويعودُ الشاعرُ

---

[١] هي جدة صديق الشاعر(حمزة الملك طمبل) كان يطلب منها ان ترى بخته بالودع على سبيل التسلية فنبأته بأمور صدق أغلبها، انظر ديوان الطبيعة، ط٢، حمزة الملك طمبل ، ص١٧٢.
[٢] المصدر نفسه، ص١٧٢.
[٣] المصدر نفسه، ص١٧٢.
[٤] المصدر نفسه، ص١٧٢.

في ذمِّ هذه الخرافات والعادات القديمةِ والبدع وهو يوجه رسالة إلى المجتمعِ من خلال مخاطبة نفسة بالعودةِ إلى العقلِ حيث يقول:

و واعجبي كيفَ في عصرِنا تصحُ الخرافاتُ في المجتمعْ؟!
وإن كنت صدقتها ما إدعتـــــــه فما أنا إلا لعقلي (تبع).
ولكن من الحمقِ أن نتـــــــــرك اللباب مشايعة للبدعْ.[1]

يعالجُ الشاعرُ موضوع آخر في المجتمعِ، ألا وهو اللقيط و يتساءلُ الشاعرُ عن سببِ هذه الخطيئةُ ومَن كان السبب هل الوالد ام أم هذا الولد؟ ثم يضع الأسباب فيرى أن الانحلال الاجتماعي وانعدام الثقافة الدينية وراء هذه المشكلة قائلاً:

أيهمـــا كان الظلوم البليدْ هل والد أم أمٌّ هــذا الوليـدْ؟
من نزعةِ الشهوةِ جاءآ به فويلٌ لمن عن عفافٍ يحيدْ.[2]

ثم يصور الشاعر هذا الطفل في المجتمعِ الذي يحلُ فيه غريباً وليس لديه إلّا الله سبحانه وتعال. فالمجتمع ينبذُه أيضاً ويظلمه ويطلقُ عليه أنبذ الألقابِ وأسواءِ الأوصافِ بجرمٍ قام به غيره يقول:

كالزهرةِ أُلقيتْ في الثرى ومنه تعفـــر خد وجيــدْ
يصوب نظراته للسمـــا أتعرف من عينه ما يريـدْ؟
كأنه وهو كحيٌ طريــد إلى الله مولاه مبدي معيدْ
ببحر الحياة طفى مثلما يطفو على الماءِ شيءٌ زهيدْ
وعاشَ لا تحمدُ أفعالـه كما جاءَ من غيرِ فعلٍ حميدْ.[3]

ثم ينقل لنا صورة أخرى عن سبب فساد المجتمع، ويرجع ذلك لسوء تربية الأسرة للطفل، و يسخط على المجتمع بصورة عامة لا في السودان فحسب بل الوطن العربي و يصفه بانعدام القيم الأنسانية وتجرده من الأخلاق. يقول:

ومن لمْ يؤدب في صغره سيفعل مِنْ لؤمه ما يريد

---

[1] ديوان الطبيعة، حمزة الملك طمبل، ط٢، ص١٧٢، ١٧٣.
[2] المصدر نفسه، ط٢، ص١٥٤.
[3] المصدر نفسه، ط٢، ص١٥٤.

تهـون على أرضنا أمــة تشبه أحرارهـــا بالعبيد

وبخست أثمان أعراضـها ولم يك للفضل فيها عميد.[١]

فحمزة الملك طمبل حاول التجديد في والموضوعات التي تناولها في شعره ولم يألفها شعراء عصره، وهذا ما قاله في مقدمة ديوانه، بأنه مجدد في الموضوع فقط لا إسلوبه .[٢]

---

[١] ديوان الطبيعة، ط٢، حمزة الملك طمبل، ص١٥٤.

[٢] انظرالمصدر نفسه، ط٢، ص١٢٧.

المبحث الثاني

نشأة النقد في السودان، وآراء طمبل النقدية.

تعريف النقد لغةً:

جاء في لسان العرب لابن منظور عن مادة نَقَدَ. النَقْدُ: خلافُ النسيئة. والنقْدُ والتّنْقادُ: تمييز الدراهِمَ وإخراجُ الزّيْفِ منْها؛ أنشد سيبويه: البسيط

تنْفي يَداها الحصى في كلّ هاجرةٍ، نفي الدنانيرَ تَنْقادُ الصَّيارِيفِ[*]

وقد نَقَدَها يَنْقُدُها نَقْداً وانْتَقَدَها وتَنَقَّدَها ونَقَدَه إياها نَقْداً: أعطاه فانْتَقَدَها أي قَبَضَها. الليث: النَقْدُ تمييزُ الدراهِمَ وإعطاؤُكَها إنساناً، وأخْذُها الانْتِقَادُ، والنقْدُ مصدر نَقَدتُه دَرَاهِمَه. ونَقَدتُه الدرَاهِمَ ونَقْدتُ له الدرَاهِمَ أي أعطِيْتَه فانْتَقَدَها أي قَبَضَها. ونَقّدتُ الدّرَاهِمَ وانْتَقَدَتها إذا أخرجتُ منها الزيف.ونَقَدَ بإصْبعِه أي نَقَرَ، ونَقَدَ الرجلُ الشيءَ بنظرِه يَنْقدُه نقْداً ونَقَدَ إليه: اخْتَلَسَ النّظَرَ نحوه. وما زال فُلان يَنْقدُ بَصَرَه إلى الشيءِ إذا لم يزلْ ينظرُ إليه. والإنسانُ يَنْقدُ الشيءَ بعينِه، وهو مخالسةُ النّظَرَ لئلا يَفْطُنُ له.[١]

وجاء في قاموس المحيط **للفيروزآبادى** في مادة نَقدَ. النَّقْدُ: خِلافُ النَّسيئَةِ، وتمييزُ الدراهِمِ وغيرِها، كالتَّنْقادِ والانْتقادِ والتَّنَقُّدِ، وإعْطاءُ النَّقْدِ، والنَّقْرُ بالإصْبَعِ في الجَوْزِ، وأن يَضْرِبَ الطائِرُ بِمِنْقادِهِ، أي:بِمِنْقارِهِ في الفَخِّ، والوازِنُ من الدراهِمِ، واخْتِلاسُ

---

[*]ذكر سيبويه أن البيت للفرزدق، انظر الكِتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بـ(سيبويه)، علّق عليه و وضع حواشيه د. إميل بديع يعقوب، منشورات محمد علي بيضوني دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ج١ ،ص ٥٧. وكذلك في خزانة الأدب و لب لسان العرب، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط٤، سنة ١٤١٨هـ ١٩٩٧م، ج٤، ص ٤٢٥ . ولم أعثر عليه في ديوان الشاعر. انظر ديوان الفرزدق، شرحه و قدّم له الأستاذ علي فاعوري، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط١، سنه ١٣٠٧هـ ـ ١٩٨٧م. وجاء هذا البيت من غير نسب. انظر جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي، نشر دار العلم للملايين لبنان بيروت، ط١، سنة ١٩٨٧ م، ج٢، ص٧٤١.

[١] لسان العرب، جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم (ابن منظور)، مطبعة دار الكتب العلمية، سنه ٢٠٠٩م، ج٣، ص ٥٢١ ـ ٥٢٢.

النَّظَرِ نحوَ الشيءِ، ولَذْغُ الحَيَّةِ، وبالكسر: البَطِيءُ الشَّبابِ، القليلُ اللَّحْمِ نِقادٌ ونِقادَةٌ، بكسرِهما، وتَكَسُّرُ الضِّرْسِ، وائْتكالُهُ، وتَقَشُّرُ الحافِرِ.[١]

وفي مقايس اللغة لابن فارس يقول عن مادة نَقَدَ: النون والقاف والدال أصلٌ صحيحٌ يدل على إبراز شئ وبروزه من ذلك النَّقدُ في الحافر، وهو تقشره. حافرٌ نَقْدٌ: متقشرٌ. نقد الدراهِمَ، وذلك أن يُكشفَ عن حاله في جَودَتِه أو غير ذلك. ودرهِمٌ نَقْدٌ وازنٌ جيدٌ. كأنه قد كشف عن حاله فعلم.[٢]

وفي معجم محيط المحيط جاء في مادة نقد. نَقَدَ: فعل ثلاثي لازم. نَقِدَ يَنْقَدُ. نَقِدَ الحافرُ أي تقشّرَ. نَقِدَ الجذعُ: نخرته الآرضة. نَقَدْتُ، أَنْقُدُ، أَنْقُدْ مصدر نَقْدٌ. نَقَدَ الدَّراهِمَ، مميّزَها، نظر فيها لِيعرِفَ جيدها من رَدِيئها. نَقَدَ الطائرُ الحبَّ: لَقَطَه بمنقاره حبَّة حبَّة.

نَقَدَتْه الحَّية: لَدَّغَتْه. نَقَدَ الشئ أوْ إليه بَنَظَره: اخْتَلَسَ النَّظَرَ إليه.[٣]

النقد اصطلاحاً:

((النقدُ في حقيقته تعبير عن موقفٍ كلي متكامل في النظرة إلى الفن عامة، أو إلى الشعرِ خاصة، يبدأ بالتذوّقِ أي القدرةُ على التمييزِ، و يَعبرُ منها إلى التفسيرِ، والتعليلِ، والتحليلِ، والتقيمِ خطوات لا تُغني إحداها عن الأخرى. وهي متدرجة على هذا النسق؛ كي يتخذ الموقف نهجاً واضحاً مؤصلاً على قواعد- جزئية أو عامة-مؤيداً بقوة الملكة بعد قوة التمييز)).[٤]

---

[١] قاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرسوسي، الناشر مؤسسة الرسالة للتوزيع و النشر، بيروت لبنان، ط٢، سنة ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٠ م، ص ٣٢٢.

[٢] معجم مقايس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق عبد السلام محمد، الناشر دار الفكر، سنة الطبع ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، ج٥، ص ٤٦٧

[٣] محيط المحيط، بطرس البستاني، الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط١، سنه ٢٠٠٩م، ج٩، ص ٢٠٨ـ ٢٠٩

[٤] الشبكة العنكبوتية، www.alukah.net تعريف النقد، شبكة الألوكة.

يرى الباحث أن أقرب تعريف للنقد من اللغة إلى الاصطلاح هو تمييز الدراهِمَ و إخراج الزيف منها.

نشأة النقد في السودان:

إن أسما مظاهر النقد الأدبي في أي عصر من العصور و في أي أمة من الأمم مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بتطور فنون الأدب، و ازدهارها في ذلك العصر أو تلك الأمة. ويعتبر الأدب العربي في العصر العباسي قد بلغ ذروته من الرقي والازدهار في شتى مجالات الأدب، فظهر لنا كتّاب بارعون، و شعراء كبار و نقاد بارزون.[١]

وسبب ازدهار الأدب في فرنسا، يقول محمد أحمد محجوب: ((وفي فرنسا في عهد الصالونات الأدبية المنظمة التي كان يرتادها الأدباء من كل حدبٍ وصوب ويقضون بها طيلة ليلهم يبحثون في شتى المواضيع، ويتناقشون في بعض ما يصدر البعض منهم. وينهالون على الفاسد من الآراء بالهدم ويمتدحون الطيب منها ويطلبون المزيد، انتعش الأدب وازدهر وبلغ درجة تحسد عليها فرنسا. وكان نتاج ذلك العهد الزاهر من كتّاب فرنسا فولتير، وروسو، وكونستاين، ومدام ستايل، وغيرهم)).[٢]

أما النقد في السودان فهو حديث النشأة. يقول عنه الأستاذ عز الدين الأمين: ((إن هذا الشعر حين تلفّت في طريقه، وجد إلى جانبه نقداً يوجهه، ويقوّم مسارَه. ولقد كانت فترة العقد الرابع من هذا القرن وأواخر العقد الثالث قبله، كانت أخصبَ الفترات في حياة الأدبِ السوداني الحديث في عهدِه الأول)).[٣]

و وجدتُ هناك بعض العوامل التي ساعدت على تطورِ النقدِ في السودان. فخلال الحكم الثنائي الإنجليزي المصري ظهرتْ المعاهد، و الجامعات، و الأندية، و الجمعيات الأدبية و الفكرية. و أهم العوامل التي ساعدت على نهوض النقد في السودان الصحافة و خصوصاً مجلتي النهضة و الفجر ومن قبلهما جريدة حضارة

---

[١] انظر نحو الغد، محمد أحمد، محجوب، نشر الخرطوم عاصمة الثقافة العربية، ط١، سنة ٢٠٠٤م ـ ٢٠٠٥م، ص٥٥.

[٢] المرجع نفسه، ص٥٥،٥٦ .

[٣] نقد الشعر في السودان، عز الدين الأمين، ص٥.

السودان و الرائد.[١] أما قبل هذا العصر فكان النقد ضعيفاً لا يؤدي الغرضَ المطلوب منه. يقول الأستاذ عز الدين الأمين: ((ففي عصر الفونج ١٥٠٤م –١٨٢١م. نجد ما أصدرَه محمد ضيف الله من أحكام على بعضِ الشعراء الذين ترجم لهم في مؤلفِه...و كان أحياناً يترك الشاعرَ و يصدرُ حكمَه على شعرِه، أو كان يجمعُ الأمرين و الأمران يلتقيانِ على أية حال. فقد قال عن حجازي بن أبي زيد: كان شاعراً حاذقاً كأنه كعبٌ بن زهير في شعرِه)).[٢]

وفي عصر الحكم التركي المصري ١٨٢١م – ١٨٨٥م. كانت الأحكام النقدية تطلق عامةً على الشعراءِ من غيرِ تعليلٍ. يقول الأستاذ عز الدين الأمين((يتحدث كاتب الشونة[*]...عن بعض قصائد علماء الأزهر التي كانوا يمدحون بها الملك بادي أبا دقن أحد ملوك الفونج، يتحدث عنها يقول: يكفي في ذلك مدح علماء الأزهرِ له بالقصائدِ العجيبة والبلاغةِ الغريبة)).[٣]

وفي عهد المهدية ١٨٨٥م . ١٨٩٨م. تطور الشعر وازدهر عما كان عليه في العصور السابقة وظهر شعر الحماسة، والصور الفنية في شعر شعراء المهدية؛[٤]لكنّ النقد انعدمَ ولم يصدرْ أي تعليق على الشعرِ رغم وجود شعراء كبار مثل محمد عمر البنا، و حسين الزهراء، وإبراهيم شريف الدولابي وغيرهم. هذا ما يؤكده عز الدين الأمين قائلاً: ((لقد مضى بعد ذلك عصر المهدية...دون أن نعثر فيه على شئ من مثل هذه التعليقات على الشعر والشعراء ولعل حياة الجهاد والنزاع وعدم الاستقرار التي كانت يحياها الناس، مع انصرافهم إلى الحياة الدينية المحضة. القائمة على تعاليم المهدية،

---

[١] نقد الشعر في السودان، عز الدين الأمين، ص ٥، ٦.
[٢] المرجع نفس، ص ١١.
[*] هو أحمد بن الحاج أبي علي كاتب الشونة ، ولد عام ١٩١٩هـ (١٧٨٤م ـ ١٧٨٥) . كتابه مخطوط الشونة في تاريخ السلطنة السنارية والإدارة المصرية. انظر نقد الشعر في السودان، عز الدين الأمين، ص١٤.
[٣] المرجع نفسه، ص١٤.
[٤] انظر الشعر في السودان، عبدة بدوي، ص٧٦، ٧٧.

ومع صرفهم إليها أيضاً. لعل كلّ ذلك لم يتركْ للأدباءِ فراغاً ليتناولوا فيه الأدبَ بالتعليقِ وليصدروا عليه الأحكامَ)).[١]

يعتبرُ عصر الحكم الثنائي الإنجليزي المصري. من أفضلِ العصورِ في تطورِ النقد في السودانِ، لِما شهِدته الحياة الثقافية من تطورٍ واسعٍ في جميعِ المجالات.[٢] وازدهر النقد من خلال المعارك النقدية التي كانت تنشر كمقالات على صفحات جريدة حضارة السودان و الفجر و النهضة. ومن أوائل نقاد هذا العصر حمزة الملك طمبل في دعواه للتجديد في الشعر. يقول الأستاذ محمد النويهي: ((نشر دعاة هذه المدرسة (الرومانتيكية) الجديدة مقالاتهم في مجلة حضارة السودان بين سنة ١٩٢٧م. وسنة ١٩٣٠م ، ثم في مجلة النهضة السودانية من سنة ١٩٣١م. إلى سنة ١٩٣٣م. ثم مجلة الفجر في سنتي ١٩٣٤م و ١٩٣٥م. ولعل أولهم في الدعوة إلى إبراز الطابع السوداني في الأدب هو حمزة الملك طنبل الذي كتب مقالاته في مجلة الحضارة سنة ١٩٢٧م)).[٣]

آراؤه النقدية:

نشر الناقد حمزة الملك طمبل أول مقال له على صفحات جريدة حضارة السودان في سنة ١٩٢٧م.[٤] بناءاً على طلب تقدمت به جريدة الحضارة إلى كتَّاب السودان. يقول عن ذلك حمزة: ((ذكرت الحضارة بعدد سابق أن الموضوعَ الوحيدُ الذي عالجَه الأدباءُ هنا هو نقد كِتاب شعراء السودان فجاء نقدُهم محتاجاً هو الآخر إلى النقد ثم كررت الرجاء إلى الكتّاب بعددها (٥٨٩) بأن يقلعوا عن سكوتهم ويتحفوها بنفثات أقلامِهم خدمة للعلمِ والأدبِ فشجعَنا ذلك على القيامِ بأعباءِ بحث هذا الموضوع المهم)).[٥]

---

[١] نقد الشعر في السودان، عز الدين الأمين، ص١٤.
[٢] انظر الديمقراطية في الميزان، محمد أحمد محجوب، ص ٣٢.
[٣] الاتجاهات الشعرية في السودان، محمد النويهي، ص٤٨.
[٤] انظر الأدب السوداني و ما يجب أن يكون عليه ط٣، حمزة الملك طمبل، ص ٩.
[٥] المصدر نفسه، ص٢٧.

يرى بعض النقاد في تشابه آراء حمزة النقدية بأدباء مصر. هذا ما أكده محمد النويهي في قوله: ((أما طنبل فهو ناقد تأثر تأثراً كبيراً بدراستِه للنقادِ المصريين المعاصرين و استفادَ منهم كثيراً، وهو يطبقُ المقاييسَ النقدية الجديدة التي تعلمَها منهم على الأدبِ السوداني تطبيقاً يدلُ على أنه فهمَها ووعاها، فيستخرجُ نتائج قيمة، وبعض أحكامِه يدل على ذوقٍ أدبي أصيل)).[١]

يرى محمد إبراهيم الشوش أنه قد تأثر بأستاذه عباس محمود العقاد وجماعة الديوان.[٢]

أما حمزة فيصرحُ بأن نقدَه يخالفُ نقّاد مصر في عصره أمثال العقاد والمازني وشكري حيث يقول: ((ودفعاً لِما يمكن أن يتبادرَ إلى أذهانِ بعض أدبائِنا يحسن أن أنوه بأنه لا التئام بين ما قصَدَه الأستاذانِ العقاد والمازني في الديوانِ وبين ما أقصدُه في هذا الكتاب فهما حملا حملة لا تخلو من تحامل لهدم أشخاص يريدون أن يملأ الناس فضاء هذا الكون طنيناً بأسمائهم أما أنا فقصدتُ فقط توجيه الأدباء هنا)).[٣]

أوضحَ حمزة في مقالهِ الأول بأهمية الأدب بالنسبةِ لتطور الأممِ ، يقول: ((إنّ هذا موضوعٌ جليلٌ خطيرٌ يجبُ أن يهتمَ به كلَّ كاتبٍ ومفكرٍ، ذلك لأنّ قيمة الأمة و شخصيتها أظهرُ ما تكون في أدبِها قبلَ كلِّ شيءٍ آخر، وكلما أرتقتْ أدابُ الأمةِ سمتْ مكانتُها)).[٤]

انتقدَ حمزة جريدة الحضارةِ نفسها قائلاً: ((إنّ إبراز صورة صحيحة للأدبِ السوداني أمر لازم وهو أمر يشعرُنا قبلَ كلِّ شئٍ بوجوب إصلاح الحضارة وتحسينها حتى تكون وافيةً بالغرضِ الأدبي لا الغرض السياسي...لتمكننا من الوصول إلى تحقيقِ هذا المطلب السامي)).[٥]

---

[١] الاتجاهات الشعرية في السودان، محمد النويهي، ص٤٨.
[٢] انظر الأدب السوداني وما يجب أن يكون عليه ط٣، حمزة الملك طمبل ، ص٥.
[٣] المصدر نفسه، ص ٢٦.
[٤] المصدر نفسه، ص ٢٧.
[٥] المصدر نفسه، ص٢٧، ٢٨.

ووجّه نقده إلى كتّاب وشعراء عصره و وصفهم بالغرور يقول: ((فالشخصُ الذي يحسنُ كتابة سطرين يزعمُ أنه صارَ كاتباً ويتأففُ من النقدِ الصحيح البرئ ! والشخصُ الذي ينظمُ من الشعرِ بيتينِ يرى في نفسِه أنه أصبحَ شاعراً فيملأُ الأرضَ شدواً هو أشبه بالصخبِ على سبيلِ الإعلان عن نفسِه ليس الإّ! والناقد لايتقدمُ إلّا مزودٌ بالغرورِ، مدفوع بدافع الرغبة في الظهور على حسابِ غيره)).[١]

آراء طمبل النقدية في الشعر التقليدي:

١- نبذ الصنعة و التعبير عن العاطفة.

دعا حمزة في نقدِه إلى ترك الصنعة، وحثَّ على التعبير عن العاطفةِ التي تجيشُ بها نفسُ الشاعرِ. فيقول: ((إنّ في مظاهر جمال هذا الكون وجلاله مما يثير أجل وأسمى العواطف في نفوسنا، ما يجب أن يصرفَنا عن الاشتغالِ بحفظِ أوزانِ القوافي وبحورها لتحسينَ الصنعة)).[٢]

٢- الشعر الكلاسيكي لا روح فيه.

وينتقد حمزة الشعر الكلاسيكي التقليدي ويصفُه بأنّه لاروح فيه. فيقول: ((قرّاء الشعر ومحبيه لاسيما في هذا البلد لايكادون يفرقون بين النظمِ والشعرِ مع أن الفرقَ بينهما يكاد يكون كالفرق بين الشخص الذي يتمتع بالحياة وبين تمثاله المنحوت من الرخام هذا جسم له روح يغمرها الأحساس بالحياة وهذا جسم لا روح فيه أما الشعر الحقيقي فهو صورة حقيقية لنفسِ الشاعر أعني الشاعرُ المطبوعُ لا الشاعرُ المقلدُ)).[٣]

٣- انْ يعبر الشعراء عن واقعهم الحاضر.

يرى الناقد حمزة الملك طمبل بأن مجال الأدب واسع وهو بذلك يحث الشعراء على التعبير عما حولهم. حيث يقول: ((فمجال الأدب غير محدود بل له مجال (عرضه السموات والأرض) خليق به (الذين يتفكرون في خلق السمواتِ والأرضَ) هذا هو الأدب فأين

---

[١] الأدب السوداني وما يجب أن يكون عليه، ط٣، حمزة الملك طمبل، ص ٢٨.
[٢] المصدر نفسه، ط٣، ص٣١.
[٣] المصدر نفسه، ط٣، ص٣٢.

نحن منه ؟)).[١] استشهد حمزة بقوله تعالى: ((الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىَ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)).[٢]

بالإضافة إلى الآية القرآنية يؤكد حمزة على ضرورة التفكر في مخلوقات الله سبحانه وتعالى ويستشهد بحديث نبوي على أهمية التفكر. ويرى أن الأدب يصح أن يكون قاعدة للتدين، حيث يقول ((قال الرسول صلى الله عليه وسلم: ((تفكر ساعة خير من عبادة سنة)).[٣] أتدري لماذا؟ الجواب عندي هو لأن التفكير يكشف للمتفكر عن لباب المخلوقات وحقائقها...لعلك ستقول مستفهماً وماعلاقة ذلك بالأدب والشعر؟ والجواب هو أن الشعر كما عرّفه الأستاذ العقاد: (لب اللباب وحقيقة الحقائق والجوهر الصميم)...أرايت إذن مبلغ إصابتي في قولي أن الأدب مجالاً عرضه السموات والأرض خليقاً به الذين يتفكرون في خلق السمواتِ والأرض)).[٤]

٤- شعراء التقليد أناس ثرثارون في كل وادٍ يهيمون.

ثم ينتقد شعراء التقليد ويصفهم بالثرثاريين وأنهم بكلِّ وادٍ يهيمون. فيقول: ((فلن أعدم من يصدمني بقوله تعالى: ((وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ،وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ)).[٥] وهذا القول لنا منه مخرج وهو أن رأينا قاصر على الشعراء الحقيقيين لا الشعراء المقلدين الثرثاريين الذين هم في كلِّ وادٍ يهيمون والذين يقولون مالا يفعلون)).[٦] ثم يستشهد حمزة بقوله تعالى: ((إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ)).[٧] ويرى فيه استثناء الله سبحانه وتعالى لشعراء التجديد الصادقين.[٨]

---

[١]) الأدب السوداني وما يجب أن يكون عليه، ط٣، حمزة الملك طمبل، ص٣٣.
[٢] سورة آل عمران، الآية ١٩١.
[٣] انظر كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين المشهور بالمتقي الهندي، تحقيق بكري حياني، صفوة السقا، الناشر مؤسسة الرسالة ط٥، ١٤٠١هـ -١٩٨١م، ج٣، ص١٠٧، رقم الحديث ٥٧١١.
[٤] الأدب السوداني وما يجب أن يكون عليه، ط٣، حمزة الملك طمبل، ص٣٣.
[٥] سورة الشعراء، الآية ٢٢٤،٢٢٥،٢٢٦.
[٦] الأدب السوداني وما يجب أن يكون عليه ط٣، حمزة الملك طمبل، ص٣٤.
[٧] سورة الشعراء، الآية ٢٢٧.
[٨] انظر الأدب السوداني ومايجب أن يكون عليه ط٣، حمزة الملك طمبل، ص٣٤.

٥- اتفاق آراء طمبل مع ماثيو ارنولد في وظيفة الشعر.

وهذا الرأي لحمزة الملك طمبل قريب من رأي الناقد الإنجليزي ماثيو أرنولد. يقول الأستاذ عبد المنعم عجب الفيّا: ((على أن هناك التقاء وتقاطعاً بين أفكار طمبل الواردة أعلاه بشأن وظيفة الأدب والدين وبين أفكار الشاعر والناقد الأدبي والفيلسوف الاجتماعي الإنجليزي Mathew Arnold ماثيو أرنولد ١٨٢٢م -١٨٨٨م الذي يُعَدُ أهم ناقد أدبي في العهد الفكتوري...إن الأدب الجاد أو الشعر تحديداً قادر أن يؤدي الوظيفة التي كان يؤديها الدين في السابق)).[١]

ويفترق طمبل عن ماثيو أرنولد. إذ جعل الآخير الأدب بديلاً عن الدين. أما طمبل فجعل الأدب أحد الطرق الموصلة الى الله.[٢]

٦- افتقار شعراء التقليد إلى الصدق.

أراد حمزة من مقالاته أن يصدر الشاعر من أعماق نفسه بصورة صادقة. وانتقد شعراء الكلاسيكية ووَصَفَهم بالكذب. حيث يقول: ((لقد قرأت بعضاً مما كتبه دعاة المذهب الأدبي الجديد عن المذهب القديم ودعاته فلم أهتدِ فيما قرأت إلى تعريف ظاهر يصح أن يكون حداً فاصلاً بين المذهبين ولكنني اقتنعت بأنهم لو قالوا : (اصدقوا) و سكتوا لكان في هذه الكلمة فصل الخطاب)).[٣]

٧- استهلال الشعر التقليدي بمقدمات لا فائدة منها.

كما وجه نقده للشعر التقليدي لاستهلال قصائده بمقدمات غير مجدية. هذا ما أكده الأستاذ بلة عبد الله مدني. حيث يقول: ((وهو يُعيب على الشعر التقليدي الاستهلال بالغزل الفاتر الذي لا يصدر عن عاطفة صادقة)).[٤]

انتقد حمزة شعراء السودان لتقلدهم القصيدة العربية، كالوقوف على الأطلال و التشبب و الوصف. ونعت تقليدهم بالتقليد الأعمى. يقول الأستاذ محمد النويهي:

---

[١] في الأدب السوداني الحديث، عبد المنعم عجب الفيا، ص٢٥.
[٢] المرجع نفسه، ص٢٥.
[٣] الأدب السوداني و ما يجب ان يكون عليه ط٣، حمزة الملك طمبل، ص٣٢
[٤] تطور الشعر العربي في السودان، بلة عبدالله مدني، ج١، ص٢٢٩.

((ثم يدعو إلى التجديد في الأفكار والقوالب ويحمل حملة قوية على شعراء السودان لتقليدهم صور الشعر العربي القديم تقليداً أعمى، ولكنه يقدّم لنقده بأن يعترف بالأعذار التي حملت هؤلاء المقلدين على تقليدهم، وهي تتلخص في شدّة الشبه بين السودان وبلاد العرب، من النواحي الجغرافية والجوية والمعيشية، ومن الصلة العنصرية بين أهالي السودان وأجدادهم العرب)).[١]

وجد الباحث أن هناك رأي يختلف بعض الشئ مع ما ذهب إليه حمزة في الشبه بين السودان والجزيرة العربية، للأستاذ بلة عبدالله مدني. حيث يقول: ((وهنا لا يمكن التسليم بأن البيئة السودانية تشابه البيئة في جزيرة العرب تمام الشبه وأن هذا التشابه هو الذي يطبع النتاج الأدبي السوداني بطابع تقليدي، وقد تكون هناك أوجه شبه، وهي بالطبع ليست شاملة لكل أجزاء السودان)). [٢]

٨- عاب على الشعراء التشطير للشعر العربي القديم.

عاب الناقد حمزة الملك طمبل على الشعر السوداني. التشطير لقصائد شعراء العرب القدامى. يقول: ((الشعر لا يحسن فيه إلزم النفس بقيد من القيود. والتشطير وما نحى نحوه فيه إلزام للنفس بمشاركة نفس أخرى في ميولها وإحساسها ولكن بلا طائل! أجل ليسأل قارؤنا أو شاعرنا نفسه عن الفائدة التي يمكن أن يحصل من تشطير شاعر يعيش الآن في السودان لقصيدة أو أبيات شاعر كان يعيشُ في بلادِ العرب منذُ ألف سنة! إنه سيجدُ الجوابَ لا شيء! وإذا كنتَ قد آمنتَ معي أيها القارئ بأن الشعر صورة حقيقية لنفس الشاعر...فأنك ستتفق معي على عدم فائدة التشطير... وإلا فإنه سيكون كمن سكب من روحه على كأس غيره فصار الكأسُ مزيجاً من روحين! أو كمن حطمَ أسورةً من الذهب لغيره وأعاد سبكَها على حسابه الخاص)).[٣] لكن الناقد حمزة يرى أن هناك فائدة في التشطير ولكن للمبتدئين فقط حتى تتضح لديهم ملكة الشعر.[٤]

---

[١] الأتجاهات الشعرية في السودان، محمد النويهي، ص٤٨.
[٢] تطور الشعر العربي في السودان، ج١، بله عبد الله مدني، ص٢٢٦.
[٣] الأدب السوداني وما يجب أن يكون عليه، ط٣، حمزة الملك طمبل، ص٥٠.
[٤] انظر المصدر نفسه، ص٥٠.

٩- دعا إلى قومية الأدب السوداني.

أراد حمزة من نقده أن يكون هناك شعراً قومياً تظهر فيه شخصية الشاعر السوداني. فنقد شعراء المعارضة. ويقول الأستاذ عبده بدوي: ((إنه يخطو خطوة إلى مايريد حين يقول: إننا لو وضعنا كل المعارضات في كفة ميزان، ووضعنا بعض الأبيات التي يسخر منها الناس هنا للشيخ حسن البدري[١]في كفة، لرجحت أبيات الشيخ حسن التي تقول في صدق وحس سوداني : البسيط

جاء الخريفُ وصبّتْ الأمطارُ والناسُ جمعـــاً للزراعةِ ساروا

هـــــذا بمفرده وذلك بابنـــه والكلُّ في الحشِّ السريعِ تباروا.

يقول: وبصرف النظر عن درجة حرارتها فهي تعطيك صورة صحيحة لوجه من وجوه الحياة في السودان)).[٢]

١٠- بناء شعر جديد لا يقوم على أنقاض الماضي.

دعا حمزة الملك طمبل في نقده لبناء شعر جديد. لايقوم على أساس الماضي. بل بناء جديد في الشكل والمضمون، يقول الأستاذ بله عبد الله مدني: ((يرفض طمبل فكرة بناء الجديد على أنقاض الماضي. هذا الوهم السائد المسيطر على أدمغة الكثيرين من شيبنا وشبابنا، الذي هو عامل من عوامل استسلامنا وتأخرنا...إن الماضي الذي تبني أنت جديدك على أنقاضه، فإن صرفت النظر عنه كان كالبنيان القائم على غير أساس...هذا الوهم السائد ننسفه بهذا السؤال: على أي أنقاض قام خزان سنار؟إنه لم يقم على أنقاض، لكنه بناء جديد قام على أساس جديد. إن العلم بالماضي شيء والبناء على أنقاضه شيء آخر، وإذا كان يجب أن نعرف درجة إحساس رجل من رجال الماضي، فإنه لايجب أن نبني على أنقاض أفكاره، لأننا خلق جديد بإحساس جديد ويجب أن نبني بناءاً جديداً أيضاً)).[٣]

---

[١] ورد اسم الشاعر بابكر بدري ، انظر الأدب السوداني ومايجب أن يكون عليه، ط٣، حمزة الملك طمبل، ص٥٩. ولم أعثر على ديوان ينسب إلى بابكر بدري إلا أشعار متفرقة في بعض الكتب، و كذلك حسن بدري.

[٢] الشعر في السودان، عبده بدوي، ص١١٦.

[٣] تطور الشعر العربي في السودان، ج١، بله عبد الله مدني، ص٢٣١- ٢٣٢.

كان حمزة يرى أن الشاعر المقلّد شاعرٌ لم تكتمل شاعريته. حيث يقول حمزة: ((إنيّ لا أتردد في القول بأن الشاعر المقلد هو شاعر ناقص النفس يحاول أن يتم نقص نفسه من كمال غيره، كالمصور الذي يزيد صورتك تحسيناً من عندياته)).[١]

١١- أنتقد الشعراء لاهتمامهم باللفظ.

وجه حمزة الملك طمبل نقده لشعراء التقليد لاعتنائهم باللفظ دون المعنى و الشكل دون المضمون فجاءت أشعارهم فارغة خالية من روح الشعر ومعناه بسبب جريهم وراء اللفظ.[٢]

١٢- الدعوة للتجديد في الشعر السوداني.

يعدُّ الناقد حمزة الملك طمبل أول من حاول التجديد في الشعر السوداني، الذي امتاز بالتقليد للقصائد العربية. يقول الأستاذ عبد المنعم عجب الفيّا : ((ومن هنا كانت دعوته الرائدة إلى ضرورة أن يصدر الشاعر عن واقعة وثقافته وبيئته المحلية. وهو حينما يقول الأدب السوداني شيء في بدء التكوين وأنا أول من نطق باسمه إنما يقصد هذا الاتجاه (السودانوي) في الكتابة الأدبية، وهو الاتجاه الذي صدر عنه وتبناه من جاء بعده ابتداء بجماعة مجلتي النهضة والفجر والمجذوب ومحمد محمد علي وجمال محمد أحمد وشعراء الغابة والصحراء...)).[٣]

---

[١] الأدب السوداني وما يجب أن يكون عليه، ط٣، حمزة الملك طمبل، ص٥١، ٥٢.
[٢] انظر المصدر نفسه، ط٣، ص٨٥.
[٣] في الأدب السوداني الحديث نقد الأدب، عبد المنعم عجب الفيا، ص٢٠.

المبحث الثالث

نقد طمبل لكِتاب (شعراء السودان).

تقدّم سعد ميخائيل[١]بطلب لشعراء السودان لتزويده بأفضل مختاراتهم الشعرية، مع صورة شخصية لكلّ شاعر، وترجمة بسيطة لحياتهم، ليؤلّف بذلك كتاباً خاصاً بشعراء السودان[٢]. وقد وجد الباحث أن الأمين علي مدني قد ذكر أن صاحب هذه الفكرة هو توفيق أحمد قبل سعد ميخائيل وقد كتب في جريدة الحضارة لشعراء السودان لكنه لم يلقَ آذان صاغية.[٣]

أصدر سعد ميخائيل كتابه في أوائل عام ١٩٢٤م.[٤]وأطلق عليه شعراء السودان. لم تكن لسعد ميخائيل ضوابط ومعايير في نشر شعر الشعراء، وهذا ما أكده نفسه. حيث يقول: ((أما إذا طننتَ أنني إنما أضفتُ شاعراً غير معترف بشاعريته، أو إن شاعريته لم تنضج بعد فقد يجوز(حسب رأيي)أن في نشر مختاراته تشجيعاً له على الاستمرار والنبوغ وحتى لا يغضب صديق ويرضى الآخر. رتبتُ هذا الكتاب بحروف الهجاء وفي هذا رضاء للجميع)).[٥]

أدرك سعد ميخائيل بأن كِتابَه سينتقد من قبل الشعراء والنقاد حيث يقول: ((سيقع هذا الكِتاب في يد كلّ وطني ولا يخلو مِن منتقدِ. فإذا ما رأيتني أيها المنتقد الأديب قد غفلتُ شاعراً أنت تعرفه وتقرُّ بشاعريته فاعلمْ أني عانيتُ أشدّ ما يعاني إنسان في جمع هذا الكُتيب)).[٦]

أما في الكلمة الختامية يُفصح سعد ميخائل عن وجود قطع شعرية ركيكة وضعيفة. حيث يقول: ((إذا صح أن اختيار المرء قطعة من عقلة. فإن في هذه

---

[١] ((وهو مصري كان موظفاً لمصلحة البوستة والتلغرافات السودانية)).نقد الشعر في السودان، عز الدين الأمين، ص١٤٩.
[٢] انظر أعراس ومآتم ،مجموعة مقالات كتبت في أوقات مختلفة ونشر بعضها بجريدة الحضارة، الأمين علي مدني، إعداد محمد صالح حسن- فاطمة القاسم شداد، دار الوثائق المركزية بالخرطوم، ص٦٢-٦٣.
[٣] المرجع نفسه، ص٦٣.
[٤] المرجع نفسه، ص ٦٣.
[٥] شعراء السودان، مجموعة لأشهر شعراء السودان مزينة برسومهم وترجمة حياتهم مرتبة بحروف الهجاء، الجامع سعد ميخائيل، مكتبة الشريف الأكاديمية، الخرطوم، سنة ٢٠٠٩م- ٢٠١٠م ، كلمة الجامع أول الديوان.
[٦] المرجع نفسه، في كلمة الجامع أول الديوان.

المجموعة بعض مختارات لا أقرها فقد أرسلها إليّ أصحابها وألحّوا في نشرها بعد أن أريتهم مواضع الضعف فيها)).[١]

إن التناقض واضح بين كلمة الجامع والكلمة الختامية لسعد ميخائيل وهذا ما أكده عزا الدين الأمين. إذ يقول عن كلمة الجامع: ((فهو في هذه الكلمة كان يخشى أن يُدرِكَ غيره ضعفاً بعض ما نشره من شعر، فاحتاط لنفسه شيئاً ما. وترك المسألة دون أن يقولَ فيها قوله الفصل. فإذا ظنّ القارئ أن شاعريةَ أحد هؤلاء لم تنضجْ بعد فقد يجوز– حسب رأيه – أن يؤدي إلى تشجيعه وأخيراً نراه قد تبين له ضعف بعض هذا الشعر، لكنّه لم يحدّد لنا مواقعه. ولذا نقول له: أين الحكم الصريح على هذه الأشعار؟ وهل هذا الروغان وعدم القطع برأي. هل يمكن أن يقوم ذلك عذراً لمن يتصدى ليدوّن ما جمع؟)).[٢]

وقد وجدتُ حسب اطلاعي أن النقاد حملوا على هذا الكتاب حملات عنيفة من الهجمات والانتقادات، على شكل مقالات نُشرت على صفحات جريدة الحضارة، فانقسم النقاد منهم من وقف إلى جانب شعراء الكِتاب ومنهم من أنتقد الكِتاب وبعض شعرائه. وهذه المعارك النقدية أشعلت الروح عند القرّاء. فأقبلوا بلهفة وحماس لقراءة ما تنشره جريدة حضارة السودان يومي السبت والأربعاء.[٣]ومن هؤلاء النقاد ابن رجّاء، وابن جني، وأحمد فوزي، والنقاد(ميم)، والأمين علي مدني، وحمزة الملك طمبل وغيرهم.[٤] ومن الناقد الذين انتقدوا كِتاب (شعراء السودان) الأمين علي مدني الذي وجه له انتقاداً لاذعاً وسخر منه ووصفه بأشنع الأوصاف. فقال عنه: ((أبرز لنا سعد ميخائيل مجلداً

---

[١] شعراء السودان، سعد ميخائيل، ص١٣٥.
[٢] نقد الشعر في السودان، عز الدين الأمين، ص١٥٥.
[٣] المرجع نفسه، ص١٥٣.
[٤] انظرالمرجع نفسه، ص ١٥٩، ١٦٠، ١٦١.

حافلاً بشعر شعرائنا، أخرج لنا ديوان شعراء السودان فكان مملوءاً بالشعر والشعراء، ولكن إذا أراد سعد أن يخدم الأدب لما استطاع أن يجمع كتاباً يسميه شعراء السودان)).[١]

يرى الأمين علي مدني بأن الغاية التي يهدف من ورائها سعد ميخائيل في طبعه لكِتاب (شعراء السودان)، هي المنفعة الشخصية.[٢] ثم يوجه نقده لسعد ميخائيل وعمله فيقول: ((لقد أساء إلى الأدب من حيث أراد أن يحسن إليه، قرأنا ديوان شعراء السودان، وما من ترجمة إلّا وكان صاحبها شاعراً مجيداً، شاعراً يُعدُّ من فحول الشعراء وما شاكل ذلك من كلمات المدح والإطراء. فشعراؤنا في الجزء الأول- والحمد لله- كلهم شعراء نضجت شاعريتهم، فإذا أطال الله في عمر المؤلّف وأخرج لنا الجزء الثاني والثالث...الخ من ديوان شعراء السودان، أرانا شعراءنا كما يريد...ما قرأت ترجمة شاعر من شعرائنا إلاّ وتذكرت إعلانات الحوانيت (جرب مرة تصبح من عشاقة) فإذا جربت فإنك لا تجد شيئاً غير ما تستطيع أن تصخط به على صاحبه)).[٣]

وقد وجدتُ أن الأمين علي مدني لا ينكر من وجود شعراء في هذا الكتاب، لكنهم على قلة بالنسبة إلى الكثير الذي يتمتع بالجمود والغرور والتقليد.[٤]

أما حمزة الملك طمبل فمرة يهاجم الكِتاب وشعراءه ويسخط منه. ويرى أنه لا شئ يذكر مع الشعر الجديد السائد في غير وطنه السودان. حيث يقول: ((إذا قسنا قيمة ما في هذا الكتاب من شعر على ما بلغه درجة الشعر من الرقي في غير هذا البلد لصحّ أن نقول: إنّ درجة أجود ما فيه تساوي واحداً أو أثنين فوق الصفر لاتحته، وعلى هذا فشعر الكِتاب في مجموعه شئ لا يكاد يذكر، ولكن المولود متمتع بالحياة)).[٥]

---

[١] أعراس ومآتم، الأمين علي مدني، ص٦٣.
[٢] أنظر المرجع نفسه، ص٦٣.
[٣] المرجع نفسه، ص٦٣ -٦٤.
[٤] انظرالمرجع نفسه، ص٦٤.
[٥] الأدب السوداني وما يجب أن يكون عليه، ط٣، حمزة الملك طمبل، ص٦٣.

ومرة أخرى يتأمل حمزة في كِتاب سعد ميخائيل الخير، لأن ما حواه من شعراء يمكن أن يكونوا دعاة المستقبل للتجديد في الشعر. حيث يقول: ((قلت أن شعر الكِتاب في مجموعة شئ لا يكاد يذكر بالقياس إلى الشعر الراقي في الوقت الحاضر، أما بالقياس إلى هذه السنين القليلة التى بدأ السودان فيها سيره دارجاً في حياته الجديدة فهو شئ يذكر نؤمل من ورائه أمالاً تُذكر، لأنه يوجد بين دفتي هذا الكِتاب ما يصح أن نسميه بالقوى الكامنة...فهذه القوى ستظهر آثارها تدريجياً للعيان...إنني ممتلئ غبطة بهذه النفوس الكبيرة التي ألحظها بين دفتي كِتاب(شعراء السودان) وكيف لا تكون كبيرة! وهي تدعونا للعمل لرفع شأن البلد وتحطيم السخيف المضر من عاداتنا وتعليم بناتنا وأخواتنا وتحسين أخلاقنا والعمل على بلوغ المعالي والكمال)).[١]

ويوصي حمزة على اقتناء كِتاب سعد ميخائيل (شعراء السودان) لأنه لا يخلو من فائدة ويكفي أنه ضمّ سبعة وثلاثين شاعراً مع تراجمهم. ويعتبرهم الأساس الذي سيُبنى عليهم مستقبل الشعر في السودان.[٢]

وردّ حمزة على النقّاد الذين سخروا من الكتاب. كالناقد(ميم) الذي ووصفه بالكتلوج.[٣]فيقول حمزة: ((وهب أن الكِتاب كالكتلوج كما وصفه بعضهم، فإنه كتلوج يجب على كلٍّ منّا أن يقتني نسخة منه، لأنه يحتوي على سبعة وثلاثين نموذجا لعقليات ونفسيات سبعة وثلاثين شخصية منّا)).[٤]

النقد التطبيقي عند طمبل:

١- اعتمد طمبل على نقد شعر الشعراء من الناحية الروحية والمعنوية للشعر لا النقد اللغوي. حيث يقول حمزة : ((سأنتحي عن نقد أشعارهم من الوجهة اللغوية

---

[١] الأدب السوداني وما يجب أن يكون عليه، ط٣، حمزة الملك طمبل، ص٦٣-٦٤.
[٢] المصدر نفسه، ص٦٤.
[٣] انظر النقد والنقاد في السودان، النشأة والاتباعيون، البروفسير محمد الحسن فضل المولى، وزارة الثقافة والشباب والرياضة، سلسلة الثقافة للجميع (١٨)، ص٨٢.
[٤] الأدب السوداني وما يجب أن يكون عليه، ط٣، حمزة الملك طمبل، ص٦٤.

لضيق وقتي، ولأني لستُ من رجال اللغة من جهة، ولاعتدادي بروح الشعر قبل متانته من الجهة الأخرى؛ وذلك لان المتانة شئ ميسور يمكن أن يحصل عليه الشاعر بدرس اللغة، ولكن روح الشعر أو ملكته موهبة طبيعية لا يمكن أن ينعمَ بها إلّا من وهبه الله إياها)).[١]أرى من خلال إطلاعي أن تجاهل حمزة للنقد اللغوي، واعتباره متانة الشعر شيئاً ميسوراً يمكن أن يحصل عليه بدرس اللغة أمراً مرفوضاً بتاتاً. لأن إهمال اللغة يجعل من الشعراء يفسدون فيها. وإن النقد المتكامل يكون بالجمع بين الشكل والمضمون.[٢]

اعتبر عبد المجيد عابدين في رأى حمزة هذا أمراً غير ميسور بالنسبة لإغفاله عن اللغة. حيث يقول: ((الدعوة إلى العناية بالمعنى قبل المبنى، والروح قبل الشكل. ربما كان حمزة مبالغاً في هذه الدعوة بعض الشئ. ذلك أنه لم يجعل للغة والأسلوب اعتباراً في نقده. وهذا في نظرنا موضع مؤاخذة ليس باليسير)).[٣]

ب- لم يلتزم حمزة هذا المبدأ بل مارس النقد اللغوي في بعض الأبيات كما أشار عز الدين الأمين. وقد أصاب حمزة حين جعل اللغة ليستَ الوحيدة في نجاح العمل الأدبي.[٤]لكنه يخالف قوله هذا ويستخدم النقد اللغوي في تحليله لأبيات الشعراء، وهذا ما أكده عز الدين الأمين يقول: ((ومع أن الناقد هنا يبعد من مقاييسه المقياس اللغوي، فإن نقده في مواضع عدّة تناول المعاني اللغوية للكلمات...وهذا بالطبع طرف من النقد اللغوي)).[٥]

نقد حمزة لعلي أرباب:

١- أتبعَ حمزة في نقده لعلي أرباب طريقة الربط بين الشعر وقائله، ومدى الانسجام بين الشاعر وشعره. حيث يقول: ((وسأستعين في الكلام عن أشخاصهم بما توحيه إليَّ

---

[١] الأدب السوداني وما يجب أن يكون عليه ،ط٣، حمزة الملك طمبل، ص٧٥.
[٢] انظر نقد الشعر في السودان، عز الدين الأمين، ص١٨٢.
[٣] تاريخ الثقافة العربية في السودان، عبد المجيد عابدين، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، ط١، سنة ١٩٥٣م، ص ٣٦٤.
[٤] انظر المرجع نفسه، ص ٣٦٥.
[٥] نقد الشعر في السودان، عز الدين الأمين، ص١٨٢.

صورهم وأشعارهم من المعاني)).[١]

يرى حمزة إنّ شعر علي أفندي أرباب أتسم بالإفراط بذكر لوازم الحرب كالسيوف والشجاعة والموت في ساحات الوغى. ولا يستثنى من ذلك حتى شعره الغزلي.[٢]ويصفه حمزة قائلاً: ((فهو شاب ضئيل نحيل يظنه من يراه أنه تلميذ (ابتدائي) وهو مع ذلك على وشك الحصول على شهادة الطب (دكتور) بتفوق! ما تذكرتُ هذا الشاب إلّا وكان تذكري له مقروناً من الإشفاق عليه)).[٣]

ويختار حمزة له أبياتاً متفرقة من قصيدة(قلبي)أو حتى يأخذ عجز البيت و يترك الصدر ليدل على ذلك.[٤]مستشهداً بالأتي: الطويل

ألا ليت كلّ الناس في العز واحد وكلّ أبي النفس تسمو مراتبُهْ.
إذا أنا لم أرفع إلى المجد أمتي فلا ساعدي يوماً علته مناكبُهُ.
فمالي مقسوم لكلِّ عشيرتي وصدري رحب لا تضيق جوانبُه.
(فيا قلب هيا للعلا و إقراع العصا) (عهدتك ياقلبي تنوء بعبئِهم).[٥]

قد يشعر القارئ بعدم الانسجام بين شخص الشاعر وشعره، لكن حمزة قد ربط بين شعره وشخصه ويرى السبب في ذلك قائلاً: ((لكن تعليل هذا بسيط عندي وهو أن قلبه النابض بطموحه إلى المعالي وبحبِّ الخير لأهله وبلده في خانة أسمى(أعلا وأكبر) من سن علي أفندي أرباب وجرمه، ومن هنا نتج الظن بفقدان التناسب بين شخصه وهذا الذي نقرأه في شعره من ذكره للمعالي مقرونة بالصوارم كأنه أحد رجال الحرب)).[٦]

---

[١] الأدب السوداني وما يجب أن يكون عليه، ط٣، حمز ة الملك طمبل، ص٧٥.
[٢] المصدر نفسه، ص ٧٥، ٧٦.
[٣] المصدر نفسه، ص٧٦.
[٤] انظر شعراء السودان، سعد ميخائيل، ص ٢٤٣- ٢٤٤.
[٥] الأدب السوداني وما يجب أن يكون عليه ط٣، حمزة الملك طمبل، ص ٧٦.
[٦] المصدر نفسه، ص ٧٦.

يثني حمزة على شاعرية علي أرباب في قصيدته(قلبي) يقول في مطلعها: الطويل

كلانا على همٍّ يبيتُ يغالبُهْ وقلب سقيم قد تداعت جوانُبُهْ.[١]

يقول حمزة عن هذا البيت: ((فهو إذن يشعرك من الآن وسيكون غداً شاعراً بلا نزاع)).[٢]

٢- ينتقد حمزة شعر علي أرباب، ويعيب عليه المقدمات في أول القصيدة التي لا فائدة منها. ويطلب من الشاعر الدخول في الموضوع مباشرة. حيث يقول حمزة الملك طمبل:((أول ما نأخذه عليه ونطالبه بالتنحي عنه استهلاله بالغزل والنسيب أو التشبيب.[٣]ثم دخوله على الموضوع بعد ذلك كما فعل في قصيدته التي ودع بها جناب المستر رتشردس)).[٤] ويقول علي أرباب في مطلع قصيدته: الطويل

وقفنا بدور الغانيات الكواعِبِ لنسكب ماءَ العين قبل الركائِبِ.[٥]

وكذلك في قصيدته في ذكرى المدرسة الطبية. يقول في مطلعها: الطويل

رأتني فتاة الخدرِ عيني تقطرُ ودمعي من جفني يسيل ويحدِرُ.[٦]

يرى حمزة أن هذه المقدمات كذب وثرثرة ولا فائدة منها. وإنما يأتي بها الشاعر لتحلية بضاعته. إذ في البيت الأول ليست هناك دُورٌ للغانيات الكواعب ليقف

---

[١] شعراء السودان، سعد ميخائيل، ص٢٤٣.

[٢] الأدب االسوداني وما يجب أن يكون عليه، حمزة الملك طمبل، ط٣، ص ٧٧.

[٣] يقول أبن قتيبة الدينوري في اقسام الشعر: ((ثم وصل النسيب(الشاعر) فشكا شدة الوجد وألم الفراق وفرط الصبابة، والشوق ،ليميل نحوه القلوب، ويصرف إليه الوجوه، وليستدعي به إصغاء الاسماع إليه،لأن التشبيب قريباً من النفوس، لائط بالقلوب لما جعل الله في تركيب العباد من محبّة الغزل، وإلف النساء، فليس يكاد أحد يخلو من أن يكون متعلقاً منه بسبب وضارباً فيه بسهم... فإذا علم أنه قد استوثق من الإصغاء إليه والاستماع له، عقب بإيجاب الحقوق، فرحل في شعره وشكا النصب والسهر، وسرى الليل و حل الهجر، وإنضاء الراحلة والبعير)). الشعر والشعراء ، أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق د.مفيد قميحة والأستاذ محمد أمين الضنّاوي، منشورات محمد علي بيضوني، دار الكتب العلمية، سنة النشر ١٤٢١هـ -٢٠٠٠م، ص٢٠. أما الغزل يقول قدامة بن جعفر :((إن الغزل هو المعنى إذا اعتقده الإنسان في الصبوة إلى النساء نسب بهن من أجله. فالنسب ذكر الغزل والغزل المعنى نفسه))نقد الشعر، قدامة بن جعفربن زياد البغدادي، الناشر، مطبعة الجوائب– قسطنطنية، ط١، سنه ١٢٠٢هـ ، ج١، ص٤٢.

[٤] الأدب االسوداني وما يجب أن يكون عليه، حمزة الملك طمبل، ط٣، ص ٧٧.

[٥] شعراء السودان، سعد ميخائيل، ص ٢٤٥.

[٦] المرجع نفسه، ص ٢٤٧.

الشاعر بها ويسكب دمع عينه عندهن. وفي البيت الثاني لا وجود لفتاة خدر هذه، ولم يرها ولم تره إلا في خياله ولا سال دمعة ولا حدر.[١] يقول حمزة مخاطباً الشعراء: ((أسمعوا! اسمعوا! لا أوجه هذا الكلام لعلي أفندي أرباب فقط بل لكلّ من نظم الشعر في السودان أو يميل إليه. فيا أدباء السودان أصدقوا وكفى)).[٢]

٣- يعيب الناقد حمزة على شعر علي أفندي أرباب التنافر الحاصل في روي أبيات القصيدة التي ودع بها المستر رتشردس يقول فيها: الكامل

ولكنّي في أثر من هو راحل أودع ذكر المكرمات وأَقْبُــرُ

إذا كانت الأيام هذي فعالها وهذي أمانيها فجوزيت يا دَهْرُ.[٣]

وهذا التنافر الحاصل في اختلاف حركة الروي يجرد الشعر من موسيقاه. ويقول الأستاذ عز الدين الأمين: ((فالتنافر ظاهر بين رويّ البيت الأول الذي هو أصل القصيدة، وروي البيت الثاني الشاذ. وهذا التنافر الذي يتحدث عنه طنبل، هو الذي يُسمى في علم القافية السناد[٤]...وهو من عيوب القافية عندهم، إذ بحدوثه لا تكتمل موسيقاه)).[٥]

٤- كما ينتقد حمزة الشاعر بعدم التوفيق في اختيار الكلمات المناسبة للغرض الشعري. فيقول: ((إنّ كلمة (أقبرُ) ليس هذا محلها، لأنّ الموضوع موضوع وداع لا رثاء والمكرمات التي يودع ذكرها الشاعر إنما هي راحلة في شخص المستر رتشردس المنقول من مكان إلى آخر فقبرها لا محل له)).[٦]

وهناك رأي آخر يذهب الباحث معه للأستاذ عز الدين الأمين حيث يقول: ((لكنّا نحسب الشاعر وهو في موقف توديع، يريد أن يقول أن المكرمات ستقبرُ بعد

---

[١] الأدب االسوداني وما يجب أن يكون عليه، حمزة الملك طمبل، ط٣، ص٧٨.

[٢] المصدر نفسه، ص٧٧.

[٣] شعراء السودان، سعد ميخائيل ، ص٢٤٧.

[٤] السناد : ((هو اختلاف بعض ما يراعى قبل الروي من الحروف والحركات وهو ثلاث انواع سناد التأسيس، وسناد الحذو، وسناد الردف)). المستشار في العروض وموسيقى الشعر، الدكتور محمد هيثم عُرّة ، نشر دار ابن كثير ودار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولي، سنة ١٤١٥هـ -١٩٩٥م ، الصفحة ١٤٣.

[٥] نقد الشعر في السودان، عز الدين الأمين، ص١٨٨.

[٦] الأدب السوداني وما يجب أن يكون عليه ط٣ ، حمزة الملك طمبل، ص٧٨.

المُودَع في المكان الذي سيفارقه، فلن تكون فيه بعده مكرمات. والداع في عاطفتها كالرثاء فيها، ففيهما معاً يحدث التاثير و الحزن، وهما معاً يحملان في بعض الحالات على البكاء والدموع، لأن عاطفة الفراق واحدة. وإن اختلف مبعثها، وإن اختلفت في الحالين طبيعة التحسر ودرجته. وعليه فإن الشاعر لم يخطئ عندنا فيما صدر عنه)).[١]

٥- يُعيب الناقد حمزة على شعر علي أرباب التكرار[٢] في المعنى، و يرى السبب في ذلك لقلة المادة و الاعتناء باللفظ دون المعنى، وهذا ما اتهم به المذهب الجديد لحافظ إبراهيم.[٣]ففي قصيدة (قلبي) يقول علي أرباب: الطويل

فيا قلبي خففّ نزعة الحزن والآسى ففعلك محمود وإنك طالبُ.[٤]

يقول حمزة: ((هو بذلك كمن يقول: فيا قلب خفف نزعة الحزن والحزن...إن كلمة الحزن الأخيرة لا لزوم لها)).[٥]

يعّلق عز الدين الأمين على قول طمبل قائلاً: ((وما سماه طنبل تكراراً، سماه البلاغيون إطناباً،[٦]فإن لم تكن في الزيادة فائدة يسمى تطويلاً[٧])).[٨]

---

[١] نقد الشعر في السودان، عز الدين الأمين، ص١٨٨ ـ ١٨٩.

[٢] التكرار: يقول ابن رشيف القيرواني: ((للتكرار مواضع يحسن فيها، ومواضع يقبح فيها ، فأكثر مايقع التكرار في الألفاظ دون المعنى، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل، فإذا تكرر اللفظ والمعنى جميعاً فذلك الخذلان بعينه، ولايجب للشاعر أن يكرر اسما إلا على جهة التشويق والاستغراب)). العمدة في محاسن الشعر وآدابه، الإمام أبي علي الحسن بن رشيف القيرواني، تحقيق . محمد عبد القادر أحمد عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، لبنان بيروت، سنة ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م ، ج٢، ص٢٥.

[٣] انظر الأدب السوداني ومايجب أن يكون عليه، ط٣، حمزة الملك طمبل، ص٧٨-٧٩.

[٤] شعراء السودان، سعد ميخائيل، ص٢٤٣.

[٥] الأدب السوداني ومايجب أن يكون عليه، ط٣، حمزة الملك طمبل، ص٧٩ .

[٦] ((قال صاحب الإطناب المنطق إنما هو بيان والبيان لا يكون إلّا بالإشباع، والشفاء لايكون إلا بالإقناع، وأفضل الكلام أبينه، وأبينه أشده إحاطة بالمعنى، ولا يحاط بالمعانى إحاطة تامة إلا بالإستقصاء والإيجاز للخواص، والإطناب مشترك فيه الخاصة والعامة والغبي والفطن)). الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، تحقيق د. مفيد قمحة، نشر، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط٢، سنة ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م ،ص٢٠٩.

[٧] التطويل: ((هو زيادة اللفظ على المعنى لغير فائدة نحو وألقى قولها كذباً ومينا. فالمينا والكذب واحد)). الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين أبو عبد الله محمد بن قاضي القضاة سعد الدين الخطيب القزويني، دار الكتب العلمية ،بيروت لبنان، ط١ سنة١٤٠٨هـ -١٩٨٨م، ص١٨٠.

[٨] نقد الشعر في السودان، عز الدين الأمين ، ص١٨٦.

أيضاً يرى حمزة في شعر علي أفندي تكرار في المعنى كما في مطلع قصيدته التي ألقاها في ذكرى المدرسة الطبية انظر الصفحة(٩٤). فعنده الشطرة الأخيرة تغني عن (عيني تقطر) وكلمة (يسيل) تغني عن كلمة يحدرُ لأنها بمعنى واحد. ويرى سبب التكرار هو العناية باللفظ.[١]

خالف عز الدين الأمين طمبل في نقده وتحليله للبيت، ويرى أن اللفظة الأخيرة من صدر البيت في جملة (عيني تقطر) لا تغني عن جملة (يسيل ويحدر) في عجز البيت لان الاتفاق بينهما ليس اتفاقاً شاملاً. فتقطر معناها تنزل متقطعة قطرة بعد قطرة. وقوله يسيل ويحدر معناها ينزل مسكوباً متصلاً مرة واحدة وليس هناك اتفاقاً دقيقاً بينهما.[٢] يقول عز الدين الأمين: ((فهذا إطناب بتعقيب جملة بجملة في معناها، وهو نوع سموه التذييل[٣])).[٤]

لكن هذا البيت لايسلم من نقد الأستاذ عز الدين الأمين فيرى أنه يسقط من ناحية واحدة حيث يقول: ((ولكن الذي نأخذه على الشاعر بعد ذلك – ولم يفطن له طنبل – هو هذا التناقض في استعماله قطر العين وسيل دمعها أو انحداره في آنٍ واحد. والبيت إذن يسقط من هذه الناحية قبل غيرها)).[٥]

٨- ينتقد طمبل موسيقى الشعر لدى علي أرباب. قائلاً: ((والبيت الثامن عشر من قصيدته التي عنوانها(قلبي) مكسور حرف رويّه وكان يجب أن يضم كباقي أبيات القصيدة)).[٦] ويقصد طمبل ببيت علي أرباب الذي يقول فيه: الطويل

---

[١] انظر الأدب السوداني ومايجب أن يكون عليه، ط٣، حمزة الملك طمبل، ص ٧٨، ٧٩.
[٢] انظر نقد الشعر في السودان، عزالدين الأمين، ص١٨٦.
[٣] التذييل: ((هو تعقيب الجملة بجملة اخرى تشتمل على معناها تأكيداً لها)). البلاغة الواضحة، علي الجارم، ومصطفى أمين، جمعه وعلق عليه علي بن نايف الشحود، ج١، ص٣٨٠.
[٤] نقد الشعر في السودان، عز الدين الأمين، ص١٨٦.
[٥] المرجع نفسه ، ص١٨٧.
[٦] الأدب السوداني ومايجب أن يكون عليه، ط٣، حمزة الملك طمبل، ص٧٩.

أقومي إن متُّ اذكروني فإنما حياتي وقف للعلا ومراكِبِهْ.[١]

بينما رويّ مطلع قصيدة (قلبي) مضموم حرف رويه وهو الأصل، انظر الصفحة (٩٤) ليتضح الفرق بين حركة حرف الروي لكلا البيتين.

يقول عز الدين الأمين: ((وهذا الذي عناه طنبل، هو الذي يسميه العروضيون الإقواء[*])).[٢]

والباحث يرى أن الناقد حمزة هنا يستعمل النقد اللغوي، خلافاً لما صرح به حمزة عند نقده للشعراء.[٣]

نقد حمزة للشيخ أحمد المرضي:

لم يستمر الناقد حمزة الملك طمبل في تحليل الشعر من خلال الربط بين قائله وشخصه. إذ عَدَلَ عن ذلك في تحليل شعر الشيخ أحمد المرضي.[٤] ويعلل حمزة عن هذا العدول قائلاً: ((لم أجد فائدة من تحليل نفسية شاعر مبتدئي هو في أول مراحل العمر والإنسان يتطور في كلِّ مرحلة من مراحل أيامه تطوراً محسوساً حتى لقد يصبح في آخر أيامه وكأنه غيره في أيام صباه بما يكسبه من التجارب... ولأنّ التحليل عملية شاقة الظروف من كلِّ الوجوه)).[٥]وبهذا فقد فصل الناقد بين الشاعر، وشخصيته، وبيئته.[٦]

هناك رأي ثانٍ يذهب معه الباحث للأستاذ عز الدين الأمين. يقول: ((وقد يكون من الأفضل أن نعرف الشاعر في كلِّ أطوار حياته، لا في الطور الأخير منها وحده. فحياته التي قال فيها الشعر تهمنا جميعاً، لنتابع فيها تطوره الشعري، بل يا حبذا لو أمكن أن نعرف المرحلة السابقة لها،لأنّها مرتبطة بالمؤثرات في شخصيته و شعره)).[٧]

---

[١] شعراء السودان، سعد ميخائيل، ص٢٤٤.

[*] الإقواء ((هو اختلاف حركة إعراب الروي بالضم والكسر)).العروض العربي ومحاولات التطور والتجديد فيه، د. فوزي سعد عيسي، كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، ١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م، دار المعرفة الجامعية، الصفحة ٩٤-٩٥.

[٢] نقد الشعر في السودان، عز الدين الأمين ، ص١٨٩.

[٣] انظر الأدب السوداني وما يجب أن يكون عليه، ط٣، حمزة الملك طمبل، ص٧٥.

[٤] المصدر نفسه ، ص ٨١.

[٥] المصدر نفسه ، ص ٨١.

[٦] نقد الشعر في السودان، عز الدين الأمين ، ص١٨٢.

[٧] المرجع نفسه ، ص١٨٢.

١- ينتقد حمزة شعر الشيخ أحمد المرضي، و يعتبر كلَّ شعره تقليداً للقصيدة العربية القديمة. يقول: ((لم ياتِ(أحمد المرضي) ببيت شعر واحد يصح أن نعده ابتكاراً)). [١] ويستشهد حمزة لذلك بقصيدته التي مدح بها الزبير باشا من كتاب سعد ميخائيل (شعراء السودان) يقول فيها: الكامل

نَــزَعَ الفؤادُ إلى مرابعِ مريم وهمّتْ سحائب أدمعي بالعندمِ
سحا كصوب المزن في تسكابه وجرى بسيل في خدودي مفعمِ
تلــوح لي بين المرابع أبــرق (لمعت كبارق ثغرها المتبسمِ).[٢]
فشددتُ رحلي واتجهت ميمماً جرعاءها في جنح ليلٍ مظلمِ.[٣]

٢- يرى حمزة أن القصيدة لم تفِ بالغرض الذي تقدم به الشاعر في مدح الزبير باشا، لماله من الجود والكرم، إذ القصيدة مكونة من أربعة عشر بيتاً ستة أبيات كمقدمة وثمانية فقط في مدح الزبير باشا.[٤]

ويرى حمزة هذه المقدمات من فضول الكلام، ويطالب الشاعر بالصدق في قوله لذلك يصف البيتين الأتيينِ بالكذب من قول الشاعر: الكامل

أخذت تصوب ناقتي كسحابة أو إنها طارت بريشِ القشــــعمِ
طوراً تغور وتارة في هضبة حتى انخت على الجانب الاكرمِ.[٥]

يقول حمزة: ((نحن لا نعرف أين كان الشيخ أحمد المرضي عندما نظم القصيدة ولكننا نعرف أن وطنه الخرطوم وأن الزبير باشا كان يسكن الجيلي والمسافة بينهما ساعة بالقطار، ولا نعرف لماذا جشّم الناقة متاعب هذه الأسفار مفضلاً ركوبها على

---

[١] الأدب السوداني ومايجب ان يكون عليه، ط٣، حمزة الملك طمبل، ص٨٣.
[٢] ضمّن الشاعر قصيدته من شعر عنتر.حيث يقول عنترة: الكامل
ولقد ذكرتكِ والرماح نواهل منّي و بيض الهند تقطر من دمي.
فوددتُ تقبيل السيوف لأنــها لمعت كبارق ثغرك المتبســـــم.
[٣] شعراء السودان، سعد ميخائيل ، ص ٦٥-٦٦.
[٤] انظر الأدب السوداني ومايجب ان يكون عليه، ط٣، حمزة الملك طمبل، ص٨٣.
[٥] شعراء السودان، سعد ميخائيل ، ص٦٦.

ركوب القطار وليس بين الدار والدار إلّا ساعة من نهار؟ نقول ولعله لم يركبها إلا بجناح فكرة على متن طرسه أثناء تسطيره هذه القصيدة، فإذا صحَّ ظننا وهو الأصح كانت الستة الأبيات من فضول الكلام الذي يجب أن نترفع عنه)).[١]

أما إذا ما قاله الشاعر كان حقيقة واقعة وقد وصفها من حيث السير في الليل، وتجشم الصعاب وسيل دمعه، وركوب الناقة. فهو صادق ولا يُعد من المقلدين.[٢]

٣- ويعالج الناقد حمزة موضوع اللفظ والمعنى لدى الشعراء، لذلك يعيب على الشيخ أحمد المرضي التنافر الحاصل بين اللفظ و المعنى. في قوله: الكامل

ولقد تلظت أكبدي وتصدعت وتوقدت من ورد خد أحمرِ.[٣]

يقول حمزة: ((كان من الأنسب وضع كلمة (مهجتي) بدلاً عن كلمة (أكبدي) لأن الشاعر إنسان كأي إنسان له كبد واحده لا أكثر ولا أقل)).[٤]وهنا يظهر نقده مع التعليل، وهذا هو النقد الصحيح البناء.

يقول الأستاذ عز الدين الأمين: ((ولكنّا نضيف إلى نقد طنبل لهذه الكلمة، إنها خطأ من ناحية لغوية، إذ أن كلمة كبد لا تجمع على أكبُد بل تجمع على أكباد و كبود وقد فات ذلك طمبل)).[٥]

٤- ينتقد طمبل رداءة المعنى لدى الشيخ أحمد المرضي في قوله : الكامل

كلفي بطلعتها الوسيمة في الورى كلف العلا بهداية الشهم السري.[٦]

يقول حمزة: ((كان يحسن أن يقول في الشطرة الثانية من البيت السادس ما يفيد كلف هداية بالعلا لا كلف العلا بهداية، لأن الناس هم الذين يسعون ويجاهدون في سبيل العلا لا العلا هي التي تسعى إلى الناس وتخطب ودهم)).[٧]

---

[١] الأدب السوداني ومايجب ان يكون عليه، ط٣، حمزة الملك طمبل، ص٨٤.
[٢] انظر نقد الشعر في السودان، عز الدين الأمين، ص١٩٢.
[٣] شعراء السودان، سعد ميخائيل ، ص ٦٦.
[٤] الأدب السوداني ومايجب ان يكون عليه، ط٣، حمزة الملك طمبل، ص٨٤.
[٥] نقد الشعر في السودان، عز الدين الأمين، ص١٩٢.
[٦] شعراء السودان، سعد ميخائيل، ص ١٦٦.
[٧] الأدب السوداني ومايجب ان يكون عليه، ط٣، حمزة الملك طمبل، ص٨٤.

ويذهب الباحث مع رأي الأستاذ عز الدين الأمين. إذ يرى إن مبالغة الشاعر مقبولة، إذ جعل الممدوح في منزلة للعلا وهي تتشرف به.[١]

٥- و يعيب الناقد حمزة على شعر أحمد المرضي لاستخدام الألفاظ في المكان غير المناسب في قوله: الكامل

إن المعارف قد تجلت وانجلت لما طلعت لها بوجه مقمرِ.[٢]

فيقول حمزة: ((إن المعارف قد تجلت وإنجلت لما طلعت لها بوجه مقمر كان يحسن أن يقول بفكر نير بدلاً من (بوجه مقمر) وهذا يستلزم بوضع الشئ في موضعه، لأن المعارف إنما يحليها ذو الفكر النير لا ذو الوجه المقمر الذي يحتمل أن يكون غبياً بليداً لا يفيد المعارف بشئ)).[٣]إن الناقد يعطي الحجج الدامغة للشعراء في تهذيب ذوقهم الشعري فجملة (بفكر نير) تتفق مع البيت الشعري بالوزن و القافية والمعنى.

٦- تسخيف المبالغة في بيت أحمد المرضي الذي يقول فيه: الكامل

شرفتها فتراقصت أعطافها فكأنها سمعتْ غناءُ المزْهَرِ.[٤]

يقول حمزة عن هذا المعنى: ((ومع أن هذا البيت فارغ فهو يؤدي إلى معنى سخيف لم يحسبْ حسابه الشاعر، لأن مصلحة المعارف إدارة حكومية لا أعطاف لها...ولو ذهبنا مع الشاعر إلى حيث ذهب وفرضنا أن المعارف بأفنديتها ومشايخها ومكاتبها وفصولها وبكلِّ ما حوته حتى المحابر والأقلام، قد تراقصت عند تشريف (هداية) لها لكان في منظر تراقصها ما يدعونا إلى السخرية، والضحك لا إلى الإجلال والاحترام وهو ما كان يرمي إليه الشاعر)).[٥]ويرى حمزة أن السبب في ذلك هو العناية بالمبنى دون المعنى.[٦]

---

[١] انظر نقد الشعر في السودان، عز الدين الأمين، ص١٩٢.
[٢] شعراء السودان، سعد ميخائيل، ص ٦٧.
[٣] الأدب السوداني ومايجب ان يكون عليه، ط٣، حمزة الملك طمبل، ص٨٥.
[٤] شعراء السودان، سعد ميخائيل، ص٦٧.
[٥] الأدب السوداني ومايجب ان يكون عليه، ط٣، حمزة الملك طمبل، ص٨٥.
[٦] انظر المصدر نفسه، ص٨٥.

كان من المفترض أن يتكلم الناقد حمزة عن الشاعر الشيخ حسيب علي حسيب لكنَّه تركه وتناول الشاعر الشيخ أحمد المرضي، ويرى السبب في ذلك أن البناء يكون في المبتدء أفضل من المنتهي.[١]

نقد حمزة للشاعر أحمد أفندي محمد صالح.

يأخذ حمزة قصيدة للشاعر أحمد محمد صالح من كِتاب سعد ميخائيل يرثي فيها الشيخ محمد عمر البنا، التي يقول في مقدمتها: الكامل

يا قبر بين النوى والأحجاري ماذا تغيب من حجي وتوّارِي

أخفيت بدراً ساطعاً وسترت نجـــــماً ثاقباً وحجبت شمس نهارِ.[٢]

١- ينتقد حمزة الشاعر بسوء ترتيب أوصاف المرثي فيقول:((بعد أن جعل المرثي بدراً ساطعاً رجع فجعله أقلُّ قيمة من ذلك أي نجماً ثاقباً ثم رجع ثانية فجعله شمس نهار وبهذا جمع الشاعر النجم والبدر والشمس في فلك واحد وفي بيت شعرٍ واحد...وليس للنجم ولا للقمر أثر يُذكر مع وجود الشمس بالنهارِ)).[٣]

كما انتقد حمزة الشاعر أن جعل المرثي طوراً أي جبلاً ثم بعدها هوى به إلى قصرٍ مشرفٍ على السقوط.[٤] في قوله: الكامل

الله أكبر قد هوى الطود الذي قد كان منبع حكمةٍ ووقـارِ

وتقوض القصرُ الذي شرفاته شيدت على همّ علون كبـارِ

قد كان رأيك في الحوادث ثاقباً أن أعضلت يوماً وزندك واري

تتفجر الاراءُ منه غزيـــــرةً كجداولٍ يجـرين أو أنهـــــارِ.[٥]

٢- وصف حمزة الشاعر بالكذب لتقليده للشعر العربي القديم في قصيدته التي مدح بها عبد الرحمن المهدي يقول في مطلعها: الطويل

---

[١] انظر الأدب السوداني ومايجب ان يكون عليه، ط٣، حمزة الملك طمبل، ص ٨١-٨٢.
[٢] شعراء السودان، سعد ميخائيل، ص٧٢-٧٣.
[٣] الأدب السوداني ومايجب ان يكون عليه، ط٣، حمزة الملك طمبل، ص٨٨.
[٤] انظر المصدر نفسه، ص ٨٧.
[٥] شعراء السودان، سعد ميخائيل، ص٧٢-٧٣.

لزينب ربع مايجيبك محول عفا بعد ما قد كان بالغيد يأهل.[١]

يقول حمزة عن هذه المقدمة في التشبيب أو النسيب: ((فمن هي زينب هذه وأين تقيم وفي أي زاوية من زواية السودان يقع ربعها العافي المقفر لنحج إليه نحن أيضاً؟ لا لزينب ولا لربعها وجود في هذه الدنيا وإنما تحلية البضاعة أو الجري وراء التقليد هو الذي استوجب هذا الخيال السقيم الذي لا أعرف متى يقلع عنه شعراؤنا؟!)).[٢]

٣- انتقد حمزة بيت أحمد أفندي محمد صالح من نفس القصيدة إذ فضل جمال الممدوح على الشمس والقمر وهذه مبالغة تصل بالشاعر إلى حد الكذب. الذي يقول فيه: الطويل

وأقسم ما قاسوك بالبدر ميسماً وشمس الضحى إلا ووجهك أجملُ.

ولا قرنوا كفيك بالبحر نائلاً ولا بالحيا إلا وجدواك أجزلُ.[٣]

طلب حمزة من الشاعر التكفير عن ذنبه،[٤]لأنه أقسم في البيت الشعري. وهنا يظهر الطابع الديني عنده، لأن الكذب صفة مذمومة في الإسلام. قال الرسول صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: ((عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، ومايزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، ومايزال العبد يتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً)).[٥]

إن حمزة ينتقد أحمد أفندي بسخرية لاذعة على هذا البيت. حيث يقول:((سمعتُ أن المولى سبحانه وتعالى أيد سيدنا موسى بآية هي أن يضمَّ يده إلى جناحه فتخرج بيضاء من غير سوء[٦] قيل تشع كالشمس ولم أسمعْ بعدها أن الله خلقَ وجهاً أجمل

---

[١] شعراء السودان، سعد ميخائيل، ص٧٢-٧٣.

[٢] الأدب السوداني وما يجب ان يكون عليه، ط٣، حمزة الملك طمبل، ص٨٨-٨٩.

[٣] شعراء السودان، سعد ميخائيل، ص٧٣.

[٤] الأدب السوداني وما يجب ان يكون عليه، ط٣، حمزة الملك طمبل، ص٨٨-٨٩.

[٥] سنن الترمزي محمد بن عيسي بن صورة بن موسي بن الضحاك الترمزي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي، إبراهيم عطوة عوض، ج٤، نشر شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي، مصر، ط٢، ص٣٤٨.

[٦] أراد حمزة قوله تعالي:((وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى)).سورة طه، الآية ٢٢.

من الشمس والقمر إلّا في هذه القصيدة. فاشتقتُ إلى رؤية هذه المعجزة التي ظهرت في آخر الزمان، ثم وفقني الله إلى التمتع بالنظر لذلك الوجه الكريم فإذا هو وجه كغيره من وجوه آبائنا أهل السودان)).[١]

٤- ينتقد حمزة الشاعر في حثّه لعبد الرحمن المهدي، على الافتخار بأبيه في نفس القصيدة. حيث يقول : الطويل

ألا أفخر(فبالمهدي) يفخر نسله ويفخر (السودان) والدين يجملُ.[٢]

وهذا البيت يسقط عند حمزة من ناحيتين، الأولى يقول: ((إن حثّ رجل ديني على الفخر كحثٍّ له على شئ يكرهه الله لأن الله لا يحب من كان مختالاً فخوراً)). أراد حمزة بذلك الآية القرآنية: ((وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ)).[٣]

أما من الجانب الثاني فيقول حمزة: ((لا نتعرض لهدم هذا البيت إلا من ركنه الأخلاقي فنقول أن الفخر خلةٌ مذمومة يجب علينا نحن بصفة خاصة أن نقلع عنها لأننا في الصف الأخير من الأمم ففخرنا مع تأخرنا مغالطة)).[٤] وفي آخر بيت من القصيدة ذاتها يقول أحمد محمد صالح: الطويل

ولا زلت في عيش رغيدٍ وغبطةٍ وقاصدك العافي يروح ويقبلُ.[٥]

يقول حمزة ناقداً هذا البيت من الناحية المعنوية: ((كان الأبلغ أن يدعو لقاصده العافي بان يغنيه الله عن السؤال...بل لو دعي على قاصده العافي بالموت لكان خيراً من دعوته له بأن يروح ويقبل راسخاً في أغلال فقره)).[٦] هنا توقف حمزة من نقد الشعراء الآخرين في كتاب سعد ميخائيل (شعراء السودان) والسبب في ذلك أن جريدة الحضارة أغلقت الأبواب بوجهه لنقده اللاذع إتجاه الشعراء المقلدين.[٧]

---

[١] الأدب السوداني و ما يجب أن يكون عليه ط٢، حمزة الملك طمبل، ص٨٩.
[٢] شعراء السودان، سعد ميخائيل، ص٧٣.
[٣] سورة لقمان، الآية ١٨.
[٤] الأدب السوداني وما يجب ان يكون عليه، ط٣، حمزة الملك طمبل، ص٨٩.
[٥] شعراء السودان، سعد ميخائيل، ص٧٤.
[٦] الأدب السوداني وما يجب ان يكون عليه، ط٣، حمزة الملك طمبل ص٨٩.
[٧] انظر تطور الشعر العربي في السودان، بلة عبد الله مدني، ج١، ص٢٢٠.

وجد الباحث من خلال اطلاعه أن من أهم المواضيع التي عالجها طمبل والمجددين من بعده هي: مسألة المقدمات الغزلية، والنسيب، أوالتشبيب، والتكرار، والأصاله في الشعر، ومسألة الوحدة العضوية للقصيدة.[١]

ويقول محجوب عمر باشري عن نقد حمزة: ((كان يضيق بالشعر والأدباء الذين لا ينساقون لمزاجه...وسألنا العقاد أتقرأ شاعراً لا يروق لك؟ قال: أقرأه لأتعلم منه كيف راق للآخرين فمثلاً لا يعجبني مهيار الديلمي وأفضل عليه الشريف الرضي. فإني أقرأ مهياراً لأتعلم كيف أستطاع ان يفوق أستاذه؟...فحمزة كان يجب عليه ان ينظر إلى الشعر من بابه الواسع)).[٢] وبسبب هجومه على من ينتقدهم، جعل بعض النقاد يعدونه ناقداً ذاتياً. ويقول الأستاذ محجوب عمر باشري: ((ولكن مرارة قلمه وهجومه على من ينتقدهم جعلته ناقداً ذاتياً بالرغم من المقاييس والحجج التي يدلى بها)).[٣]

---

[١] انظر المرجع نفسه، ص٢٤٣.
[٢] رواد الفكر في السودان، محجوب عمر باشري، ص١٥٤.
[٣] المرجع نفسه، ص١٥٣.

المبحث الرابع

شعر طمبل بين النظري و التطبيق

عاب حمزة على شعراء التقليد الاعتناء بالصنعة. و الصنعة مصطلح استخدمه القدامى و المحدثون. فكانت الصنعة في العصر الجاهلي تعني الاعتناء بالشعر و المكوث عليه في التعديل و التنقيح و التجويد، وقد يصل هذا التنقيح و التعديل لمدة حول كامل. وقد برز زهير بن أبي سلمى في هذا المجال. و أخذ يطلق هذا المصطلح فيما بعد على الشعراء الذين يعتنون بالزخارف والإكثار من البديع أمثال أبو تمام و مسلم بن الوليد و ابن المعتز. وفي القرن الرابع الهجري أخذت لفظة الصنعة معنىً مختلفاً، فأصبحتْ تطلق على الشعراء الذين يقومون في إعادة الصور القديمة و تدويرها بأسلوب مختلف، وكذلك ظهور الفلسفة و التصوف والتشيع. في شعرهم ومثّل هذا المذهب أبو العلاء المعري.[١]و وجد الباحث أن بعض الأدباء والباحثين يرون أن الشعر كله صنعة و ليس هناك شعر مطبوع ومصنوع. يقول الأستاذ شوقي ضيف: ((أرفض فكرة تقسيم الشعراء إلى أصحاب طبع وأصحاب صنعة، حتى في العصر الجاهلي، إذ كان الشعراء جميعًا أصحاب صنعة وجهد وتكلف؛ فقد حدثنا الرواة أن منهم من كان ينظم القصيدة في حول كامل. وليس من شك في أن من يتابع الشاعر الجاهلي يحس إحساسًا واضحًا بأنه كان يقبل على صناعته إقبال الصانع على حرفته)).[٢]

أما الذي قصده حمزة في الصنعة لدى شعراء عصره هو اهتمامهم باللفظ دون المعنى و تقليد قصائد القدامى. لذلك دعا إلى استعمال الألفاظ البسيطة والسهلة في نظم الشعر حيث يقول: ((يكفي أن يعبر الشاعر عن عاطفه من عواطف نفسه بأبيات من الشعر بسيطة لا أثر للتكلف(الصنعة) فيها)).[٣]

---

[١] انظر الفن ومذاهبه في الشعر العربي، أحمد شوقي عبدالسلام ضيف الشهير بشوقي ضيف، نشر دار المعارف، مصر، ط ١٢، ص ٩.

[٢] المرجع نفسه، ص٨.

[٣] الأدب السوداني وما يجب أن يكون عليه،ط٣، حمزة الملك طمبل، ص٣١.

وهذا ما نجده في جميع شعره كقصيدة ياليتها، وسافرة، وذكرتني، وذكرى، وشكوى، وبين الله والطبيعة وغيرها. ففي قصيدة (شكوى) يقول حمزة:

كم في سبيل الأماني دهري بخطبٍ رماني
والنفسُ للمجدِ تصبو برغم ما قد دهاني
والطيرُ لا تقوى بلا ريشٍ على الطيرانِ
والعمرُ بين دقائق ماضٍ وبين ثوانٍ
والنفسُ في أسر الأسي والدمع في جرياني[1]

عاب حمزة على الشعر التقليدي التشطير للشعر العربي القديم، ويرى فيه قيد من القيود التي تعوق الشاعر من غير فائدة تذكر، لذلك انتقد جريدة الحضارة لفتحها الباب أمام تشطير شعر شعراء القدامى.[2]ومن الأشعار التي شطرها الشعراء على صفحات جريدة حضارة السودان قصيدة للشاعر سالم بن وابصة يقول فيها: الطويل

أحبُّ الفتى ينفي الفواحشَ سمعُه كأنّ به عن كلِّ فاحشة وقْرا
سليم دواعي الصدر لا باسط أذى ولا مانع خيراً ولا قائل هجْرا
إذا ما أتت من صاحب لك زلة فكن أنت محتالاً لزلته عذْرا
غنىّ النفس مايكفيك من سد حاجة فإن زاد شيئاً عاد ذاك الغنى فقراً.[3]

وقد حكمت اللجنة المكونة من عبد الله عبد الرحمن، محمد عبد القادر المصري والأمين أحمد إبراهيم والبشير الفضل للشاعر محمود أنيس بالجائزة، فكان تشطيره للقصيدة الآتي: الطويل

أحبُّ الفتى ينفي الفواحشَ سمعُه (شجاعاً أبي النفس لايعرف الغدْرا)

---

[1] ديوان الطبيعة، ط٢، حمزة الملك طمبل، ص١٣٤.
[2] انظر الأدب السوداني ومايجب أن يكون عليه ، ط٣، ص٥٠.
[3] شرح ديوان الحماسة، ابو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الاصفهاني: تحقيق غريد الشيخ، وضع فهارسه العامة، إبراهيم شمس الدين، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، سنة١٤٢٤هـ -٢٠٠٣م، ج١،ص٨٠٢ .

(غيوراًعلى عرضٍ عن اللغوي معرضاً) كأنّ به عن كلِّ فاحشة وقْرا
سليم دواعي الصدر لا باسط أذن (لجار ولا في قومه نافثاً شراً)
(جواداً إذا استجديته لا مماطلاً) ولا مانع خيراً ولا قائل هجْرا.[١]

أراد حمزة أن يعبّرَ الشاعر عن نفسه وميوله لا ميول غيره، والشعر عنده أن يشعرك بقائله قبل غيره.[٢] لذلك دعا الشعراء للتعبير عن بيئة السودان وحالة السودان بكلّ حذافيرها. حيث يقول: ((إن إبراز صورة صحيحة للأدب السوداني أمر لازم، هذه الصورة التي نشير إليها نود أن تكون دالة على السودان ومذكرة من يراها به أعني (سودانية) بكامل معناها حتى الشلوخ والوشم فأين هذا الذي أردناه؟)).[٣]

فجاء ديوان الطبيعة صورة مشابهة لبيئة السودان وطبيعتها، وعادات السودان. ومن قصائده في الطبيعة، شيخوخة شجرة، وجبل وجبل، وفي جوف الليل، وسحابة، وفي الدويم، والغروب، وعاصفة، وليلة من ليالي الخريف، وبين الله والطبيعة، وضفادع، وليلة ونهار. لذلك لقب حمزة بشاعر الطبيعة. يقول حمزة في كلمة أخ في موضوع الديوان: ((إن أغلبَ عناوين (قصائدك) جديدة في الشعر تدل على اتصالك بالطبيعة اتصال المفكر المتأمل ولذلك فأنت جدير بحمل لقب شاعر الطبيعة)).[٤] ففي قصيدة (ليلة ونهار) يصور الشاعر بيئة السودان وطبيعتها يقول:

الشمس خلف الجبال غابت ولاح الهلالْ
والكون في العين أمسى حقيقة كالجبال
كأنما كل شئ مكون من ظلال
تلوح في القفر نار ضئلة الاشتعال
وفوق كوخي طيور وخلف كوخي غزال
وحول كوخي نبات من حسكنيت ونال[٥]

[١] انظر نقد الشعر في السودان، عز الدين الأمين، ص٣١، ٣٢.
[٢] الأدب السوداني ومايجب أن يكون عليه، ط٣، حمزة الملك طمبل، ص٥١.
[٣] المصدر نفسه ، ص٥٨.
[٤] ديوان الطبيعة،ط٢، ص١٢٣ .
[٥] المصدر نفسه،ص٢١٢.

تظهر الطبيعة السودانية في قصيدته هذه من خلال الألفاظ التي وردت مثل(الجبال، الطيور، غزال، نبات، الحسكنيت والنال، الهلال). فهي ألفاظ تدلك على أن هذه البيئة بيئة السودان وهذا النبات لا يزرع إلا في السودان وهذه الحالة هي لاتوجد الإ في السودان.ثم يقول واصفاً الطبيعة من حوله:

وقد أنيـــخت جمال لتستريح الجمـــــال
وطال تسريح طرفي من فوق أعلى التلال
هذا سكون مريـــح لمـن أطـال النضـال
لقد توارى الهـــلال والبرق في الجو صال
صار السحاب ركاماً أو مثلما قيل: شـــال[1]

فكلمة (شال) عامية سودانية تطلق للسحاب الحامل مطر وقد ارتفع في السماء.

كذلك نجده يصور الطبيعة السودانية في قصيدته ليلة من ليالي الخريف في السودان، فالشاعر ينقل حالة فصل من فصول السنة في السودان ألا وهو فصل الخريف يقول في قصيدته (ليلة):

سجى الليل والجو أمسى عُباب تلاطم موج به من سحـــاب
وقد برق البرق في لجـة فما أهول البحر فيه التهاب
وتنقض من بينه الكـهربا ء كالنار لا كانقضاض الشهاب[2].

يصور الشاعر هذه الليلة من هذا الفصل في السودان بعد أن ستر الليل أمسى الجوُّ كثيرَ الماء من أثر تصادم السحاب و يشبّه الشاعر تصادم السحاب بتلاطم أمواج البحر في شدتها ، وينتج عن هذا التصادم البرق الذي ينزل في ذلك الماء الكثيف الذي تصطخب أمواجه في أمرٍ عظيم، وهي تشبه بذلك ثوران البحر وهيجانه. ثم يصور البرق في السماء و سرعة انقضاضه كالكهرباء تفوق انقضاض الشهاب. ثم يقول حمزة:

---

[1] ديوان الطبيعة، ط٢، حمزة الملك طمبل، ص٢١٢، ٢١٣.
[2] المصدر نفسه،ط٢، ص٢٠٦.

للرعد صوت تكاد الجبا ل تندك من هوله و الهضاب
وتعصف في الجو هوج الريا ح حاملـــة كالجبال التـــراب
وقد راح مختفياً كلّ حيٍّ وقد لزم الصمت حتى الكلاب.[١]

وفي هذه الليلة من فصل الخريف يقول حمزة، إن لشدة صوت الرعد تكاد الجبال والهضاب تتساوى في الأرض وينقل الشاعر لنا صورة أخرى لرياح الخريف ما تحمله من الغبار حتى كأنها تحمل الجبال في تلك الليلة الظلماء وقد أخفقت هذه العاصفة الهوجاء كل شئ كنّا نراه حتى الأشجار. ومن هول المشهد صمت كلّ شئ في الوجود حتى نباح الكلاب. ثم يقول بعد ذلك:

وقد أصبح القفر بحراً ولم يكن فيه بالأمس غير السراب.[٢]

وهنا يعطينا الشاعر حالة الخريف في السودان لما تصبه من أمطار غزيرة حيث تتحول الأراضي المقفرة الخالية إلى بحر بعدما كانت سرابا.

وفي آخر الأبيات يقول:

إذا كان ليس له قائـدٌ لأصبحت الأرض منه خـــراب
تفكرت في رحمة أرسلت إلى الناس من بين هذا العذاب.[٣]

يشعرك حمزة في هذين البيتين بالروح الصوفية التي تميز بها الشعر السوداني، لكنّه مزجها بالرومانتيكية. وهو بذلك قد استطاع أن يطبع شعره بالطابع السوداني. وهذا ما دعا إليه.

انتقد حمزة التشطير وما قاله عن التشطير يقوله عن المعارضة أيضاً،[٤] و وجدت أن حمزة لا ينفي من وجود فائدة في التشطير لكنها تفيد الشاعر أكثر مما تفيد القارئ.[٥]إلا أننا نجده في ديوان الطبيعة بقصيدة (ويح قلبي من سهام المقلِ) قد

---

[١] ديوان الطبيعة،ط٢، حمزة الملك طمبل، ص٢٠٦.
[٢] المصدر نفسه، ص٢٠٦.
[٣] المصدر نفسه، ص٢٠٦.
[٤] الأدب السوداني وما يجب أن يكون عليه، ط٣، ص٥١.
[٥] المصدر نفسه، ط٣، ص٥١.

عارض بها قصيدة (ويح نفسي من بكاء البلبل) للشاعر سليم أبو شقرا. لكنّ حمزة يصرح بأنه نشرها للذكرى فقط.[١] يقول سليم ابو شقرا في قصيدته: الرمل

أمل قطـــع حبل الأمـــل ويك ياحظ ألا تبسـمُ لـــي؟
كلما أملتُ أن أحظى بما أرتجيه خاب مني مأملـــي
لستُ أدري هل لدهري ترة قبلي حتى رماني من عـلِ
وبنفسي شاء دهري أو أبى عزة ما نقـــلت عن رجـلِ.[٢]

ويقول حمزة في معارضته لهذه القصيدة: الرمل

قطع الدهر حبال الأمل ورمى القلب بخطبٍ جـــللِ
ألمٌ في النفس لا أحمله وعذابـي ليس بالمـحتـمـــلِ
ولظى بالقلب لولا أدمعي صار جسمي منه كالمشتعلِ
يا أبا شقرا كلانا غارق ليس يخشى غارق من بـــللِ.[٣]

نجد أن في شعر حمزة مصداقاً لقوله في سودنة الشعر. ويعتبر أول من دعا إلى إبراز الطابع السوداني في الشعر. وقد احتذا به من جاء بعده.[٤]

يعتبر حمزة أن استهلال القصائد بالغزل والتشبيب من عيوب الشعر، وتُسقِط الشاعر بالكذب. ويطلب من الشعراء الدخول والولوج في الموضوع مباشرة،[٥] ويرى أن المقدمات ليست من الصدق الفني حيث يقول: ((يا أدباء السودان أصدقوا وكفى))[٦] ولذلك نجد ديوان الطبيعة يخلو من المقدمات الغزلية، ونجده يدخل في الغرض الذي يطلبه من غير مقدمات. كما في قصيدته (استقبال) التي مدح بها اللورد اللنبي يقول فيها: الخفيف

أنا أهوى الكمال في كل نفسٍ وأجل الرجالَ من كل جنسٍ

---

[١] ديوان الطبيعة، حمزة الملك طمبل،ط٢ ص١٣٩.
[٢] المصدر نفسه ،ص١٣٩.
[٣] المصدر نفسه ،ص١٤١.
[٤] انظر الاتجاهات الشعرية في السودان، محمد النويهي،ص٤٨.
[٥] انظر الأدب السوداني و ما يجب أن يكون عليه ط٣، حمزة الملك طمبل، ص٧٧.
[٦] المصدر نفسه ، ص٧٧

وإذا جاشت العواطف في نف سي عمدتُ إلى دواتي وطرسي
فاتح القدس قد تغمدك الله بروحٍ من المهيمن قدسي
لك عزمُ من القضاء وذكر مشرق في الزمان إشراق شمسٍ
جئت تستعرض الصفوف احتفاء لا لحرب بمدفع أو بترس.[١]

فالشاعر هنا أضفى ألقاب المدح والثناء على ممدوحه من غير مقدمات. خلافاً لما كان سائداً في عصره. ولو أخذنا قصيدة بنفس الغرض من شعراء التقليد لنرى الفرق بين الشعرين، يقول أحمد أفندي محمد صالح في مدح عبد الرحمن المهدي بعد عودته من لندن: الطويل

لزينب ربع ما يجيبك محول عفا بعد ما قد كان بالغد يأهلُ
و اقفر من بيض حسانٍ نواعم أوانسٌ من أخلاقهن التدللُ
و زينب دعجاء العيون غريرة لها لحظات تسترق و تقتلُ[٢]
خدلجية الساقين خمصانة الحشا لها شَعَر ضاف و خصر مبتّلُ[٣]
و خد أسيل فوق جيد غزالة وردف إذا قامتْ ينؤ و يثقلُ
إذا ابتسمت فالاقحوانة نوّرت وأن خطرت فالريم في البيد تجفِلُ.[٤]

ثم يستمر في التغزل بزينب بأحد عشر بيتاً حتى يصل إلى ممدوحه فيقول:

إمام الهدى قرّتْ بمرآك أعينٌ و طابتْ نفوس حين عدّتَ و أمقلُ
نمتكَ إلى الخيرات أعراقُ هاشم فأنت لهذا الدين ركن وموئلُ.[٥]

فالفرق واضح بين القصيدتينِ إذ جعل أحمد أفندي مقدمة غزلية في مدحه لعبد الرحمن المهدي ، بينما لا نجد ذلك في مدح حمزة للورد اللنبي.

---

[١] ديوان الطبيعة، ط٢، حمزة الملك طمبل، ص١٦٠.
[٢] دعجاء العيون:شدة سوادها. انظر تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني،أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، نشر دار الهداية، ج٥، ص ٥٦٧.
[٣] الخَدَلَّجَةُ: المَرْأَةُ الرَّيَّاءُ (المُمْتَلِئَةُ الذِّراعَيْنِ والسَّاقَيْنِ).المصدر نفسه، ج٥، ص٥٠٧.
[٤] شعراء السودان، سعد ميخائيل، ص ٧٢، ٧٣.
[٥] المرجع نفسه، ص ٧٣.

يرى حمزة أن الإفراط في المبالغة ليست من الصدق الفني وتفسد الشعر وتؤدي إلى وقوع الشاعر في الكذب. فجاء شعره مصادقاً لقوله. وإن كانت هناك مبالغة وغلو في شعره فلا يقودنا ذلك إلى النفور منه، بل هي حقيقة يقبلها العقل وتستسيغها النفس طائعة، كما في قصيدة أقسمتُ يقول فيها:

أرخصتُ يوم فراقك الدمعا وأصمُ وقع أنينك السمعا
أقسمتُ بالرحمن خالقنا قد زاد حُبّكِ عالمي وسعا
فيزيد وجهكِ حين أبصره نور الشموس بمقلتي سطعا
وأقولُ فيكِ الشعر مرتجلاً فتخفُ آلامُ النوى نوعــا
روحي وروحكِ منذ أن خلقنا هذي لتلك حبيبة تسعــى.[1]

فالمبالغة واضحة في البيت الثاني والثالث، لكنها مبالغة مقبولة ، لانها معنوية يدركها كل عاشق ومعشوق، إذ يصف الشاعر اتساع العالم في نظره، بسبب حبّه لمعشوقته. ويصور محبوبته بنور الشمس ولكن في عينه فقط وهنا تكمن الحقيقة في مبالغته سواء كانت محبوبته جميلة أم قبيحة المنظر؟ وإذا قارنا قوله هذا بمبالغة الشاعر أحمد أفندي محمد صالح في مدحه لعبد الرحمن المهدي – ارجع إلى الصفحة (١٠٣) – والذي نقده فيه حمزة تدرك الفرق بين القولين.

انتقد حمزة شعراء السودان لتقليدهم الأعمى لقصائد العرب القدامى. فدعا لبناء شعر جديد ليس على أساس الماضي بل جديد في الموضوع و الأسلوب أي الشكل والمضمون. يقول حمزة: ((بين يدي قصيدة شيخوخة شجرة فهل سمعتم أن لأحد شعراء الماضي بهذا العنوان و في هذا الموضوع غالباً لا)).[2]

كانت الساحة الأدبية في عصر حمزة مزدحمة بشعراء التقليد ولا تعطعي مجالاً لغيره. ورغم ذلك نجد أن شعره جدة في الموضوع و الشكل. ويختلف عن شعر المقلدين. هذا ما أكده الشوش يقول:((وشعر طمبل الذي يطالعنا في ديوان الطبيعة

[1] ديوان الطبيعة، ط٢، حمزة الملك طمبل، ص١٨٤.
[2] الأدب السوداني ومايجب أن يكون عليه، ط٣ حمزة الملك طمبل، ص٤٦.

نفس جديدة في الشعر السوداني لا نجده عنده محمد سعيد العباسي أو عبد الله عمر البنا أو غيرهم من المعاصرين)).[١]إذ مزج بين فصاحة الكلمة والتعبير السوداني المحلي. فيقول في قصيدة (يا ليتها). الكامل

الصبر أصبح درعه (بالي) مذ أشغلت بجمالها بالي

فأبيت مشتاقاً أخاُ وله ما عن لقا معشوقه سالي

ولقد كتمتُ عن الورى كلفي دفعاً لسهم القيل والقالي

يا ظبية قد أقبلت تحطو صارت علىّ كشر رئبالِ

وعلىّ قد هلت حزينة رب الجمال أقامها (والي)

فعشقتها والقلب منتصر لجمالها مستجهل الخالي

كم ليلة قد بتُّ مكتئباً لنفيس عمري بالجفا قالي

يا ليتها في الحب صاغية لتوجعّي إصغاء عذالي.[٢]

ويرى حمزة أن التقليد لا ينفع القاريء بقدر ماينفعه الشعر الجديد الذي يتناول الموضوعات الاجتماعية. لذلك دعا لبناء شعر جديد لا يقوم على التقليد. [٣]

أما عن الموضوعات فقد عالج حمزة موضوعات اجتماعية لم يلتفت إليها شعراء عصره ومنها قصيدة سافرة يقول: المتقارب

أيسلـــو فؤادي أو أكتمُ وتجمد عيني ولا تسجمُ؟[*]

وسيف لحاظكِ أشهرته فأغمده قلبي المغـــــرمُ

وعلمتني كيف أن الهوى له مهج الناس تستســلم

---

[١] الأدب السوداني و ما يجب أن يكون عليه ، ط٣، ص١٠

[٢] ديوان الطبيعة، ط٢، حمزة الملك طمبل، ص١٣٢.

[٣] الأدب السوداني و ما يجب أن يكون عليه ، ط٣، ص٤٦.

[*] تسجم : تدمع. أنظر الشبكة العنكبوتية **www.almaany.com.** معجم المعاني ، عربي عربي .

ونور جمالك في خاطري وفي مهجتي نؤر تضرم.[١]

يوضح الشاعر بأن فؤاده لا ينسى ولن تطيب نفسه بحبه لهذه الحسناء ويدعو أن لا يبكي عند اللقاء. ثم يصور كيف أسرته بجمالها، لا بسيف أو برمح. ويقول أن جمالها عالقٌ في ذهنه، ومن شدة جمالها أصاب الشاعر نور في داخله وهي مصطحبة نار العشق. ثم يقول حمزة:

ملكتي فؤادي ولي منطق به أعلـن الحـق مـا أعلـــم
سفرِتْ ولا خطر في السفو ر إذا كان في الناس من يفهم
ولكننا معشر إن نرى الجـ ـمـال غــلا في العروق الدمُ
ضعاف النفوس ضعاف العقو ل وقد عز من بيننا الأحــزام.[٢]

ثم يعود الشاعر بمفارقته بعد أن أصبح أسيراً لذلك الجمال الساحر فيترك فؤاده ويتبع عقله وهو الحق. ثم يعالج مسالة السفور من غير تعصب أو تطرف ديني بل بإعطاء الحجج والبراهين في إقناع المرأة في إرتداء الحجاب لان المجتمع جاهل ضعيف النفس فيسئ لها. ثم يقول:

فصوني جمالك عن فتيةٍ أبرهــم قلبــه يأثـــــمُ
وغضي جفونك كي تسلمي من الموبقات وكي يسلموا
ولا تخلعي عنك ثوب الحيا ء ولا تبسمي لا مرء يبسمُ.[٣]

ويعطي مجموعة وصايا وإرشادات إلى من دعا للسفور وتأثر في الثقافة الغربية. ويريد منها الحفاظ على المجتمع من التمزق الأخلاقي. ويوصي المرأة بأن تصون جمالها من المجتمع ، لأن بإظهار جمالها يفسد حتى التقي. وأن تغض من بصرها ونظرتها كي يسلم الآخرون من نظرات المحرمة. ويؤكد حمزة على أن تحفظ المرأة حياءها لأنّ

---

[١] ديوان الطبيعة، ط٢، حمزة الملك طمبل، ص ١٣٣.
[٢] المصدر نفسه، ط٢، ص ١٣٣.
[٣] المصدر نفسه، ط٢، ص١٣٣.

الحياء معدن المرأة. ففي القصيدة اتسم إسلوب حمزة بالهدوء وضبط النفس في الإرشاد والإقناع من خلال تقديمه للحجج والبراهين. والهدف الرئيس من ذلك هو إصلاح المجتمع.

فشعر حمزة في ديوان الطبيعة جاء متناسقاً تقريباً مع مقالاته التي نشرها على صفحات جريدة السودان ومنسجمة مع دعواه للتجديد في الشعر السوداني. وهذا ما أكده محمد إبراهيم الشوش قائلاً: ((ديوان الطبيعة أن هو إلا تنفيذ فني وعملي لما تضمنته المقالات النقدية من نظريات في الشعر. فالنقد والشعر يتسقان في تكامل لا مثيل له في أدبنا العربي المعاصر)).[1]

[1] الأدب السوداني و ما يجب أن يكون عليه ، ط٣، ص٩.

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة حمزة الملك طمبل شاعراً وناقداً وقد قُسم البحث إلى ثلاثة فصول في كل فصل ثلاثة مباحث. وقد أحتوى الفصل الأول على الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية وأثرها في حياة الشاعر حمزة الملك طمبل أثناء الحكم الإنجليزي المصري، و تبيّن أثر البيئة السودانية في شعر طمبل، كما كشفت الدراسة تأثره بأدباء مصر، مما أوضحت الدراسة بأنه لم ينضم إلى أي كيان سياسي أو حزبي.

وتناولت الدراسة في الفصل الثاني نشأة حمزة و تكوينه الثقافي من خلال التعرف على حياته ونشأته ومولده و اسرته و وفاته وثقافته وآثاره الأدبية.

كما اشتملت الدراسة في الفصل الثالث حمزة شاعرا و ناقدا من خلال التعرف على مميزات شعره، وأوضحت الدراسة أن شعره جاء مخالفاً لشعراء عصره من شعراء التقليد، كما يظهر في شعره الطابع السوداني من خلال عرض بعض نماذج من شعره لتدليل على ذلك كالأمثال العامية، ووصف طبيعة السودان، والأوزان الموسيقية العامية كالدوبيت،وظهور الروح الصوفية في شعره، والغزل الحسي. وكشفت الدراسة أن شعره كان جدة في أغلب موضوعات شعره. كما تناولت الدراسة نشأة النقد في السودان وتعريف النقد لغة واصطلاحاً واستعراض لآرائه النقدية، ونقده لكِتاب (شعراء السودان) لسعد ميخائيل، وبعض ما جاء فيه من شعر شعراء التقليد، ولكنه في نفس الوقت تأمّل فيه خيراً لبناء شعر جديد في المستقبل. وتوصلت الدراسة إلى أن آراءه النقدية كانت معتمدة على الحجج و البراهين. وتختم الدراسة بالتأكد من مطابقة آرائه النقدية التي نقد بها شعراء التقليد، وقد توصلتُ الدراسة إلى الانسجام في بعض ما تبناه في نقده مع ديوانه (ديوان الطبيعة).

النتائج:

توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج من أهمها:

- كانت ثقافة حمزة الأدبية ذاتية من خلال اطلاعه الواسع، وقد تأثر بأدباء مصر.
- تأثر الشاعر بمجتمعه من خلال معالجته للموضوعات الاجتماعية السودانية.
- لم يظهر اسم حمزة في المنتديات الأدبية ولا الأحزاب السياسية أثناء الحكم الثنائي الإنجليزي المصري، وقد ألّف كتابا في أخر حياته يحمل فيه على الإنجليز.
- إن شعر حمزة جاء مخالفاً للشعر التقليدي الخطابي الذي كان سائداً في عصره.
- اثبتت الدراسة التوافق في بعض آرائه النقدية وديوانه (ديوان الطبيعة).

التوصيات:

يوصي الباحث بعدد من التوصيات:

١. يحتاج شعره لمزيد من إلقاء الضوء علية، و إجراء مقارنة شعر الطبيعة عنده بشعراء الطبيعة في الوطن العربي.
٢. أخذ الطبيعة الحيّة والصامتة في شعر الملك طمبل ودراستها.
٣. إبراز الرمز في شعر حمزة الملك طمبل والغاية منه.
٤. دارسة الأثر البلاغي في ديوان الطبيعة: المعاني، والبيان، والبديع.
٥. دراسة الشاعر حمزة الملك طمبل دراسة سايكلوجية (نفسية) وآثرها في شعره.
٦. دراسة الأثر السوداني في شعر طمبل.
٧. تحقيق ديوان الطبيعة تحقيقاً دقيقاً.

الفهارس العامة

تحتوي على:

- فهرس الآيات القرآنية.
- فهرس الأحاديث النبوية.
- فهرس الأعلام.
- فهرس الأشعار.
- فهرس المصادر والمراجع.
- فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية

الرقم	الآية	رقم الآية	رقم الصفحة
	ال عمران		
١	((الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)).	١٩١	٨٣
	الأنفال		
٢	((إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ))	٢٢	٦٤
	طه		
٣	((وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَة أُخْرَى))	٢٢	١٠٣
	النمل		
٤	((إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ))	٨٠	٦٤
	الشعراء		
٥	((وَالشُّعَرَاء يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ، أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ،وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ))	٢٢٤-٢٢٦	٨٣
٦	((إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا وَانْتَصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ)).	٢٢٧	٨٣
	لقمان		
٧	((وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ))	١٨	١٠٤
	فصلت		
٨	((سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ)).	٥٣	أ

فهرس الأحاديث النبوية

الرقم	الحديث	رقم الصفحة
١	((أَعْدَى عَدُوَّكَ نَفْسُكَ الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيْكَ)).	٦٤
٢	((تفكر ساعة خير من عبادة سنة)).	٨٣
٣	((عليكم بالصدق فإن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة،ومايزال الرجل يصدق ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإياكم والكذب فإن الكذب يهدى إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، ومايزال العبد يتحرى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً)).	١٠٣

فهرس الأعلام

الرقم	العلم	رقم الصفحة
١	ابن الأثير	٦٣
٢	ابن الفارض	٤٩
٣	ابن رشيق القيرواني	٩٦
٤	ابن فارس	٧٧
٥	ابن قتيبة الدينوري	٩٤
٦	ابن منظور	٧٦
٧	أبو الطيب المتنبي	٦١
٨	أبو العلاء المعري	٦١
٩	أبو هلال العسكري	٩٦
١٠	أحمد شوقي	١٥
١١	إسماعيل الأزهري	١٥
١٢	الإمام الشافعي	٤١
١٣	بطرس البستاني	٧٧
١٤	بطرس غالي	٤
١٥	الترمذي	١٠٣
١٦	تشرشل	١٤
١٧	الحارث بن عمرو	٦٥
١٨	حافظ ابراهيم	٥٠
١٩	الخطيب القزويني	٩٦
٢٠	الخليفة عبد الله التعايشي	٣
٢١	روزلفت	١٤

٢٢	سيبويه	٧٦
٢٣	الشريف الرضي	١٠٥
٢٤	صدقي بيفن	١٦
٢٥	عبد الرحمن المهدي	١٦
٢٦	علي الميرغني	١٦
٢٧	علي دينار	٧
٢٨	عنترة بن شداد	٩٩
٢٩	الفيروزآبادي	٧٧
٣٠	قدامة بن جعفر	٩٤
٣١	كرومر	٤
٣٢	محمد أحمد المهدي	٢٢
٣٣	محمد النويهي	٥٠
٣٤	محمد بن الحسين النيسابوري الميداني	٦٤
٣٥	مرتضى الزبيدي	١١٢
٣٦	مصطفى الغلاييني	٦٢
٣٧	مصطفى قليلاتي	٢٥
٣٨	مهيار الديلمي	١٠٥
٣٩	المتقي الهندي	٨٣
٤٠	المرزوقي الأصفهاني	١٠٧

فهرس الأشعار

الرقم	البيت	البحر	رقم الصفحة
١	فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن لنسكب ماءَ العين قبل الركائِبِ	الطويل	٩٤
٢	مفاعلــتن مفاعلــتن فعولـــن ولحم الضأنِ يطرحُ للكِلابِ	الوافر	٤١
٣	فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن وكلّ أبي النفس تسمو مراتبُهْ فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن فلا ساعدي يوماً علته مناكبُهُ فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن وصدري رحب لا تضيق جوانبُه	الطويل	٩٣
٤	فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن حياتي وقف للعلا ومراكِبِهْ	الطويل	٩٨
٥	فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن ففعلك محمود وإنك طالبُ	الطويل	٩٦
٦	فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن وقلب سقيم قد تداعت جوانُبُهْ	الطويل	٩٤
٧	مفاعلــتن مفاعلــتن فعولـــن إن الجهل في شعب ممات مفاعلــتن مفاعلــتن فعولـــن جفاه مع المحامين الأساة مفاعلــتن مفاعلــتن فعولـــن إلى سبب تزول به الأذاة.	الوافر	٣٤
٨	فاعــلاتن مستفع لن فاعــلاتن الجسم فيها والعيش مثل السهادِ.	الخفيف	٦١
٩	مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن والناسُ جمعاً للزراعةِ ساروا. مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن والكلُّ في الحشِّ السريعِ تباروا.	البسيط	٨٦
١٠	متفاعــلن متفاعلن متفاعـــلن أودع ذكر المكرمات وأَقْبُرُ متفاعــلن متفاعلن متفاعـــلن وهذي أمانيها فجوزيت يا دَهْرُ	الكامل	٩٥
١١	فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن ودمعي من جفني يسيل ويحدِرُ	الطويل	٩٤
١٢	فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن أحبُّ الفتى ينفي الفواحشَ سمعُه	الطويل	١٠٧
١٣	فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن ولا مانع خيراً ولا قائل هجْرا فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن فكن أنت محتالاً لزلته عذْرا فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن فإن زاد شيئاً عاد ذاك الغنى فقرا	الطويل	١٠٨

١٤	متفاعــلن متفاعلن متفاعـــلن متفاعــلن متفاعلن متفاعـــلن	ماذا تغيب من حجي وتواري نجماً ثاقباً وحجبت شمس نهارِ	الكامل	١٠٢
١٥	متفاعــلن متفاعلن متفاعـــلن	لما طلعت لها بوجه مقمرِ	الكامل	١٠١
١٦	متفاعــلن متفاعلن متفاعـــلن	فكأنها سمعت غناء المزهر	الكامل	١٠١
١٧	متفاعــلن متفاعلن متفاعـــلن متفاعــلن متفاعلن متفاعـــلن متفاعــلن متفاعلن متفاعـــلن متفاعــلن متفاعلن متفاعـــلن	قد كان منبع حكمةٍ ووقـارِ شيدت على همّ علون كبـارِ أن أعضلت يوماً وزندك واري كجدولٍ يجرين أو انهـارِ.	الكامل	١٠٢
١٨	متفاعــلن متفاعلن متفاعـــلن	وتوقدت من ورد خد أحمرِ.	الكامل	١٠٠
١٩	مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن	نفي الدنانيرَ تَنْقادُ الصَّيارِيفِ.	البسيط	٧٦
٢٠	متفاعــلن متفاعلن متفاعـــلن متفاعــلن متفاعلن متفاعـــلن متفاعــلن متفاعلن متفاعـــلن متفاعــلن متفاعلن متفاعـــلن متفاعــلن متفاعلن متفاعـــلن	راقٍ وضاعت من يديَّ حقوق. وتلألأت لما أطلّ بروقٍ. نجم يضيء وللجهود شروق. حتى احتواك مكانه المرموقِ. والعيش مضنٍ والطريق سحيق.	الكامل	٣٦
٢١	مفاعلــتن مفاعلــتن فعولـــن	ولكن لا سبيل إلى الوصالِ.	الوافر	٦١
٢٢	متفاعــلن متفاعلن متفاعـــلن	كنّا نظنّ عهودها الإنجيلا.	الكامل	١٥
٢٣	فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن	عفا بعد ما قد كان بالغد يأهلُ. أوانسٌ من أخلاقهن التدللُ. و لها لحظات تسترق و تقتلُ. لها شَعَر ضاف و خصر مبتّلُ. وردف إذا قامتْ ينؤ و يثقلُ. وأن خطرت فالريم في البيد تجفِلُ.	الطويل	١١٢

٢٤	فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن	وشمس الضحى إلا ووجهك أجملُ. ولا بالحيا إلا وجدواك أجزلُ.	الطويل	١٠٣
٢٥	فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن	ويفخر (السودان) والدين يجملُ	الطويل	١٠٤
٢٦	فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن	وقاصدك العافي يروح ويقبلُ.	الطويل	١٠٤
٢٧	فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن	و طابتْ نفوس حين عدّتَ و أمقلُ. فأنت لهذا الدين ركن وموئلُ.	الطويل	١١٢
٢٨	مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن	دهري قصدني مالو ومالي	البسيط	٥٨
٢٩	متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن	وهمّتْ سحائب أدمعي بالعندمِ. وجرى بسيل في خدودي مفعمِ لمعت كبارق ثغرها المتبسمِ. جرعاءها في جنح ليلٍ مظلمِ.	الكامل	٩٩
٣٠	متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن	منّي و بيض الهند تقطر من دمي. لمعت كبارق ثغرك المتبسم.	الكامل	٩٩
٣١	متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن	أو إنها طارت بريشِ القشعمِ. حتى انخت على الجانب الاكرمِ.	الكامل	٩٩
٣٢	متفاعلن متفاعلن متفاعلن	عهدتك ياقلبي تنوء بعبئِهم.	الكامل	٩٣
٣٣	مستفع لن فاعلاتن	ظللتْ جوك الغمامة.	المجتث	٥٨
٣٤	مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن مستفعلن فاعلن	حدث فإن حديثاً منك يشفيني. طفلاً وإنك قد شاهدت ذا النون.	البسيط	٩
٣٥	متفاعلن متفاعلن متفاعلن	كلف العلا بهداية الشهم السري	الكامل	١٠٠

فهرس المصادر والمراجع

رقم	المصدر أو المرجع
١	القرآن الكريم
٢	آداب الصحبة، محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد بن سالم النيسابوري، تحقيق مجدي فتحي السيد،نشر دار الصحابة للتراث، طنطا مصر ، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٠هـ – ١٩٩٠م، ج١.
٣	الأدب السوداني و ما يجب أن يكون عليه الطبعة الثالثة، حمزة الملك طمبل، شرح و تقديم محمد إبراهيم الشوش، نشر الأمانة العامة للخرطوم عاصمة الثقافة،سنة ٢٠٠٥م.
٤	الإسلام في السودان، ج سبنسر ترينجهام ، ترجمة فؤاد محمد عكوك، المجلس الأعلى للثقافة، سنة الطبع ٢٠٠١م ، المشروع القومي للثقافة.
٥	أصول الشعر السوداني، عبد الهادي صديق، نشر دار جامعة الخرطوم، الطبعة الثانية، سنه ١٩٨٩م.
٦	أعراس ومآتم ،مجموعة مقالات كتبت في أوقات مختلفة ونشر بعضها بجريدة الحضارة، الأمين علي مدني، إعداد محمد صالح حسن– فاطمة القاسم شداد، دار الوثائق المركزية بالخرطوم.
٧	الإنتماء والإغتراب دراسات ومقالات في تاريخ السودان الحديث، محمد سعيد القدال، نشر دار الجيل – بيروت، الطبعة الأولى – سنة ١٩٩٢م.
٨	الإيضاح في علوم البلاغة ، المعاني و البيان و البديع ، الخطيب القزويني جلال الدين محمد بن عبد الرحمن ، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، سنه الطبع ١٩٧١م.
٩	البلاغة الواضحة، علي الجارم، ومصطفى أمين، جمعه وعلق عليه علي بن نايف الشحود.
١٠	تاج العروس من جواهر القاموس ، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي، نشر دار الهداية، الجزء الخامس.
١١	تاريخ الثقافة العربية في السودان، عبد المجيد عابدين، دار الثقافة للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، سنة ١٩٥٣م.
١٢	تاريخ السودان الحديث، ضرار صالح ضرار، الدار السودانية للنشر،الطبعةالأولى،سنة ١٩٧٥م.

١٣	تاريخ السودان الحديث، محمد سعيد القدال، الناشر مركز عبد الكريم ميرغني، الطبعة الأولى، سنة ١٩٩٢م ، الصفحة ٣٦٠.
١٤	تراجم شعراء وأدباء وكتّاب من السودان، محمود خليل محمد، ٢٠٠٩م، وزارة الثقافة والشباب والرياضة، سلسلة ثقافة للجميع(١٢).
١٥	تطور الشعر العربي في السودان، بلة عبد الله مدني، شركة مطابع السودان للعملة المحدودة، الجزء الأول، سنة٢٠١٠م.
١٦	جامع الدروس العربية،مصطفى بن محمد سليم الغلاييني،الناشر: المكتبة العصرية، صيدا، بيروت لبنان، الطبعة: الثامنة والعشرون، ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣م.
١٧	جغرافية وتاريخ السودان، نعوم شقير، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، الطبعة الثالثة، سنة ٢٠٠٧م.
١٨	جمهرة اللغة، أبو بكر محمد بن الحسين بن دريد الأزدي، نشر دار العلم للملايين لبنان بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٩٨٧.
١٩	حروب المهدية، روبن نيللاند، ترجمة، د.عبد القادر عبد الرحمن، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٠٢ م.
٢٠	خزانة الأدب و لب لسان العرب ، عبد القادر بن عمر البغدادي، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، الطبعة الرابعة، سنة ١٤١٨هـ .١٩٩٧م.
٢١	الديمقراطية في الميزان، محمد أحمد محجوب، منشورات الخرطوم عاصمة الثقافة العربية ٢٠٠٥م، الطابعون مطبعة العملة، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٤م.
٢٢	ديوان أبي الطيب المتنبي ، شرح العلامة اللغوي عبد الرحمن البرقوقي،تحقيق الدكتور محمد فاروق الطباع، نشر شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم،بيروت لبنان، المجلد الثاني.
٢٣	ديوان أفُق وشفق، توفيق صالح جبريل، تحقيق الدكتور محمد إبراهيم أبو سليم ومحمد صالح حسن، نشر دارالجيل، بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١١هـ -١٩٩١م.
٢٤	ديوان الطبيعة، حمزة الملك طمبل، الطبعة الثانية، شرح محمد إبراهيم الشوش، نشر الأمانة العامة للخرطوم عاصمة الثقافة،سنة١٩٧٢م. بيروت لبنان.

٢٥	ديوان الفرزدق، شرحه و قدّم له الأستاذ علي فاعوري، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان ، الطبعة الأولى، سنه ١٣٠٧هـ . ١٩٨٧م.
٢٦	ديوان شوقي الشوقيات، تحقيق إبراهيم أمين محمد، نشر المكتبة التوفيقية، القاهرة . مصر، الجزء الأول.
٢٧	ديوان عبدالله محمد عمر البنا، تحقيق علي الملك، نشر دار جامعة الخرطوم للنشر،الطبعة الثانية، سنه ١٩٧٦، الجزء الأول.
٢٨	ذكرياتي في البادية، حسن نجيلة،نشر مطبعة أكاديمية العلوم الطبية، ط٥، سنة ١٤٢٣هـ. .٢٠٠٢م.
٢٩	رواد الفكر السوداني، محجوب عمر باشري،نشر دار الجيل بيروت، ط١، ١٤١١هـ – ١٩٩١م.
٣٠	سقط الزند لأبي العلاء المعري، نشر دار بيروت و دار صادر للطباعة و النشر و التوزيع، سنه ١٣٧٦هـ .١٩٥٧ م.
٣١	سنن الترمزي محمد بن عيسى بن صورة بن موسى بن الضحاك الترمزي، تحقيق: أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي، إبراهيم عطوة عوض، ج٤، نشر شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي، مصر.
٣٢	السودان المفاوضات بين الحكومة المصرية والبريطانية من ١٣ فبراير سنة ١٨٤١م إلى سنة ١٩٥٣م، إعداد الشيخ أحمد عووضة، الشركة العالمية للطباعة والنشر.
٣٣	شرح ديوان الحماسة، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني: تحقيق غريد الشيخ، وضع فهارسه العامة، إبراهيم شمس الدين، نشر دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، سنة ١٤٢٤هـ –٢٠٠٣م.
٣٤	شرح ديوان عنترة، الخطيب التبريزي، تقديم مجيد طراد، نشر دار الكتاب العربي، سنة ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م، بيروت لبنان.
٣٥	الشعر السوداني على منصة التاريخ، مصطفى عوض الله بشاره، الطبعة الأولى.
٣٦	الشعر في السودان، عبدة بدوي، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الأدب، الكويت ، يناير سنة ١٩٧٨م.
٣٧	الشعر والشعراء ، أبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، تحقيق د.مفيد قميحة والأستاذ محمد أمين الضنّاوي، منشورات محمد علي بيضوني، دار الكتب العلمية ،سنة النشر ١٤٢١هـ –٢٠٠٠م.

٣٨	شعراء السودان ، مجموعة لأشهر شعراء السودان مزينة برسومهم وترجمة حياتهم مرتبة بحروف الهجاء، الجامع سعد ميخائيل ، مكتبة الشريف الأكاديمية ، الخرطوم ، سنة ٢٠٠٩م- ٢٠١٠م.
٣٩	الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري تحقيق د. مفيد قمحة، نشر، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، الطبعة الثانية،سنة ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م.
٤٠	العروض العربي ومحاولات التطور والتجديد فيه، د. فوزي سعد عيسى، كلية الآداب ، جامعة الاسكندرية ، ١٤٣٠هـ -٢٠٠٩م، دار المعرفة الجامعية
٤١	العمدة في محاسن الشعر وآدابه، الإمام أبي علي الحسن بن رشيق الفيرواني، تحقيق . محمد عبد القادر أحمد عطا، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، لبنان بيروت، سنة ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.
٤٢	الفن و مذاهبه في الشعر العربي، أحمد شوقي عبدالسلام ضيف الشهير بشوقي ضيف، نشر دار المعارف، مصر ، الطبعة ١٢.
٤٣	في الأدب السوداني الحديث نقد الأدب، عبد المنعم عجب الفيا، نشر دار نينوى للنشر والتوزيع ، دمشق، الطبعة الأولى، سنه ٢٠١١م.
٤٤	قاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف محمد نعيم العرسوسي، الناشر مؤسسة الرسالة للتوزيع و النشر، بيروت لبنان، الطبعة الثانية ١٤٢٦هـ .٢٠٠٠م.
٤٥	الكِتاب ،عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بـ(سيبويه) ، علّق عليه و وضع حواشيه د.إميل بديع يعقوب، منشورات محمد علي بيضوني دار الكتب العلمية،بيروت لبنان.
٤٦	كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين المشهور بالمتقي الهندي، تحقيق بكري حياني، صفوة السقا، الناشر مؤسسة الرسالة الطبعة الخامسة ١٤٠١هـ،١٩٨١م.
٤٧	لسان العرب، جمال الدين أبي الفضل محمد بن مكرم (ابن منظور)، مطبعة دار الكتب العلمية، سنه ٢٠٠٩م.
٤٨	المثل السائر في أدب الكاتب و الشاعر، ضياء الدين نصر الله بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم (ابن الأثير)، تحقيق الشيخ كامل محمد عويضة، نشر محمد علي بيضوني دار الكتب العلمية، لبنان بيروت.

٤٩	المجتمع المدني والتحول الديمقراطي في السودان، د. حيدر إبراهيم علي ، تقديم :د. سعد الدين إبراهيم ، إصدار مركز ابن خلدون، بالاشتراك مع دار الأمين للنشر والتوزيع، مصر القاهرة، سنة ١٩٩٦م.
٥٠	مجمع الأمثال، لأبي الفضل أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم النيسابوري الميداني، تقديم نعيم حسين زرزور ، نشر محمد علي بيضوني دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان.
٥١	محاضرات عن الاتجاهات الشعرية في السودان، محمد النويهي، جامعة الدول العربية ، معهد الدراسات العربية العالية، سنة ١٩٧٥م.
٥٢	محيط المحيط، بطرس البستاني، الكتب العلمية، بيروت . لبنان، الطبعة الأولى، سنه الطبع ٢٠٠٩م.
٥٣	المستشار في العروض و موسيقى الشعر، محمد هيثم عرّة، نشر دار ابن كثير و دار الكلم الطيب، دمشق بيروت، الطبعة الأولى، سنة ١٤١٥هـ .١٩٩٥م.
٥٤	معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، المحقق عبد السلام محمد الناشر دار الفكر، سنة الطبع ١٣٩٩هـ . ١٩٧٩م.
٥٥	ملامح من المجتمع السوداني، حسن نجيلة، دار عزة للنشر والتوزيع، سنة ٢٠٠٥م، الجزء الأول.
٥٦	موسوعة الأمثال الشعبية في الوطن العربي، إعداد محمد الراوي، دار أسامة للنشر و التوزيع ، الأردن عمان، الطبعة الأولى ، سنة ٢٠٠٠م.
٥٧	نحو الغد، محمد أحمد، محجوب، نشر الخرطوم عاصمة الثقافة العربية،الطبعة الأولى، سنة الطبع ٢٠٠٤م .٢٠٠٥ م.
٥٨	نقد الشعر ، قدامة بن جعفربن زياد البغدادي ، الناشر مطبعة الجوائب، قسطنطنية، ط١، سنة ١٢٠٢ هـ
٥٩	نقد الشعر في السودان حتى بداية الحرب العالمية الثانية،عز الدين الأمين، الناشر دار جامعة الخرطوم، الطابعون مطبعة جامعة الخرطوم، الطبعة الأولى ، السنة ١٩٩٩م.
٦٠	النقد والنقاد في السودان، النشأة والاتباعيون، البروفسير محمد الحسن فضل المولى، وزارة الثقافة والشباب والرياضة، سلسلة الثقافة للجميع(١٨).
٦١	**www.alwatan.com.news** أوراق مجهولة من سيرة الشاعر حمزة الملك طمبل.

٦٢	**www.almaany.com** معجم المعاني قاموس عربي عربي
٦٣	**www.m.ahewar.org>s.asp** تاج السر عثمان- تطور أشكال التنظيم في السودان – الحوار المتمدن.

فهرس المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
الآية	أ
الإهداء	ب
الشكر والعرفان	ج
مستخلص الدراسة	د–هـ
Abstract	و – ز
مقدمة	ح
مشكلة البحث	ح
أسباب اختيار البحث	ط
أهمية البحث	ط
أهداف البحث	ط
تساؤلات البحث	ط – ي
منهج البحث	ي
الدراسات السابقة	ي – ل
خطة البحث	ل
هيكل البحث	ل– م
الفصل الأول: الحياة السياسية، و الاجتماعية، والثقافية في السودان.	
المبحث الأول: الحياة السياسية من عام ١٨٩٨ –١٩٥٦م.	**١٩–٢**
المبحث الثاني: الحياة الاجتماعية من عام ١٨٩٨ – ١٩٥٦م.	**٣٠–٢٠**
المبحث الثالث: الحياة الثقافية من عام ١٨٩٨ – ١٩٥٦م.	**٤٢–٣١**

الفصل الثاني:نشأة حمزة الملك طمبل و تكوينه الثقافي.	
المبحث الأول: نشأته.	٤٤-٤٧
المبحث الثاني: تكوينه الثقافي.	٤٨-٥٣
الفصل الثالث: مميزات شعر طمبل، و آراؤه النقدية.	
المبحث الأول: مميزات شعر طمبل في (ديوان الطبيعة).	٥٥-٧٥
المبحث الثاني: نشأة النقد في السودان و آراء طمبل النقدية.	٧٦-٨٧
المبحث الثالث: نقد طمبل لكِتاب (شعراء السودان).	٨٨-١٠٥
المبحث الرابع : شعر طمبل بين النظري و التطبيق.	١٠٦-١١٦
الخاتمة	١١٧
النتائج والتوصيات	١١٨
الفهارس العامة	١١٩-١٣٤
فهرس الآيات القرآنية.	١٢٠
فهرس الأحاديث النبوية.	١٢١
فهرس الأعلام.	١٢٢-١٢٣
فهرس الأشعار.	١٢٤-١٢٦
فهرس المصادر والمراجع.	١٢٧-١٣٢
فهرس المحتويات.	١٣٣-١٣٤